دراسة منهجية حول

منهج أهل السنة والجماعة

في العقيدة والسلوك والمنهج أصول وضوابط

تأليف الدكتور

عبد الله بن محمد اليزيدي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٢٠٢٢٢٥

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم





دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة منهجية حول منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والسلوك والمنهج أصول وضوابط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه الدراسة في مواضع تمس الحاجة إلى معرفتها، وفهمها فهماً صحيحاً حتى يستقيم المنهج الذي يسير عليه السالك صراط ربه، والذي كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسوف نتناول في هذه الدراسة المواضيع التالية:

١- لمحة تاريخية عن ظهور الأهواء والبدع ومخالفة ما كان عليه السلف الصالح، من خلال دراسة حديثين شريفين.

٢- تعريفات وألقاب لأهل السنة والجماعة:

١- أهل السنة والجماعة. ٢- أهل الحديث. ٣- أهل الأثر.

٤- السلف. ٥- الفرقة الناجية. ٦- الطائفة المنصورة.

٣- لماذا منهج أهل السنة والجماعة مع بيان مميزات منهج أهل السنة والجماعة.

٤- مصدر ومنهج التلقي عند أهل السنة والجماعة.

٥- منهج فهم وتقرير العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

٦- الأصول التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة.

٧- الخصائص الأخلاقية والسلوكية لأهل السنة والجماعة.

٨- الضوابط التي تجعل المسلم ملتزماً بمنهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن منهج أهل البدع، مع بيان منهج النظر والاستدلال عند أهل السنة والجماعة.

٩- منهج أهل السنة والجماعة في العبادة.

١٠- منهج أهل السنة والجماعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى.

١١- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والرد على المخالف والحكم على الآخرين.

١٢- منهج أهل السنة والجماعة في ضوابط وأدب الخلاف والحوار.

١٣- حقيقة الإيمان والكفر عند أهل السنة والجماعة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والاشاعرة مع بيان ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة.

هذا، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والعاقبة للمتقين. وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين ويكون ذخرًا لي يوم الدين؛ إنه سميع قريب، وأطلب من كل أخ اطلع على هذه الدراسة إن وجد فيها خطأً أن يصححه وينبهني عليه كما أطلب من كل أخ قرأ هذه الرسالة أن يدعو لي بدعوة صالحة بظهر الغيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتب هذه الرسالة الفقير إلى عفو ربه

عبد الله بن محمد اليزيدي

الباب الأول

لمحة تاريخية عن ظهور الأهواء والبدع ومخالفة ما كان عليه السلف الصالح من خلال دراسة حديثين شريفين وهما :

الحديث الأول: عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليه بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»[١].

الحديث الثاني : حديث الافتراق وقد روي من عدة طرق عن صحابة رسول الله منهم أبو هريرة، ومعاوية وعبد الله بن عمر، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وننقل هنا رواية عوف بن مالك، قال رسول الله ﷺ : «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدةٌ في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدةٌ في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة واحدةً في الجنة واثنتان وسبعين في النار: قيل يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة**»[٢].

ففي الحديث الأول أخبر النبي ﷺ بحدوث الاختلاف من بعده وفعلاً حدث.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابن ماجة واللالكائي وابن أبي عاصم وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣ ص٤٨٠ حديث (١٤٩٢) وقال: هذا إسناد حسن جيد.

وهذا من دلائل نبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وفي الحديث الثاني أخبر ﷺ بافتراق الأمة ؛ وفعلاً وقع الافتراق كما أخبر عنه وظهرت الأهواء والفرق التي شذت وفارقت ما كان عليه الرسول ﷺ من الاتباع وترك الابتداع، وجاءت بأصول وقواعد لم تكن معهودة في عصر السلف رضوان الله عليهم أجمعين، وسوف نستعرض باختصار لمحة تاريخية عن ظهور هذه الأهواء والفرق.

١ الخـوارج :

كان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر، وصدرٍ من خلافة عثمان رضي الله عنه متفقين لا تنازع بينهم. ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق، وقام قومٌ من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين، خرجت الخوارج على عليّ بن أبى طالب سنة (٣٧ هـ) وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له «حروراء» وأعلنوا بذلك خروجهم عن علي ابن أبى طالب ومعاوية والحكمين وكل من رضي بالتحكيم وأول من خرج منهم الأشعث بن قيس الكندي ومسعر التميمي وزيد الطائي، ومن أشهر فرقهم الأزارقة والنجدات والصفيرية والأباضية وعن هذا الفرق تفرعت سائر فرقهم.

ألقاب الخـوارج :

للخوارج ألقاب سموا بها وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقةً من الدين، كما يمرق السهم من الرمية ومن ذلك :

خوارج : بسبب خروجهم على الحكمين.

حرورية : بسبب نزولهم بحروراء وهي ضاحية من ضواحي الكوفة.

المحكمة : لإنكارهم التحكيم وقولهم لا حكم إلا لله.

شـــراة : لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة.

أهم الأصول التي فارقوا بها أهل السنة :

(١) تكفيرهم علي وعثمان والحكمين رضي الله عنهم ؛ جاء نتيجة لجهلهم وزيغهم ـ أولاً ـ ثم نتيجة لبدعتهم العظيمة وهي قولهم بتكفير صاحب الكبيرة، والذي أخذه الخوارج على علي بن أبى طالب رضي الله عنه من التحكيم فكفّره بذلك.

قال الشهرستاني :

«والبدعة الثانية أنهم قالوا اخطأ علي في التحكيم إذ حكّم الرجال لاحكم إلا لله ـ تعالى ـ وقد كذبوا على علي بن أبي طالب»[١].

٢- القول بالخروج على الإمام، حيث أنهم يرون الخروج على أئمة المسلمين عند أتفه الأسباب؟! فكانوا أصحاب غارات وثورات، وسفكوا دماء المسلمين وسعوا في تفريق الكلمة وشقوا عصا الطاعة، ولما كان هذا الأمر عظيماً وخطيراً ؛ عد رأيهم في الإمامة من أهم أصولهم بل هو من الأمور التي أجمعوا عليها.

٣- القـول بتكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار وهـذا من فهمهم لآيات الوعيد.

٤- نفي الصفات حيث أنهم يثبتون لله جميع الأسماء التي سمى بها نفسه أو سماها بها الرسول ﷺ، وأما الصفات فإنهم يؤلونها، ويعتقدون أن ظاهرها غير مراد وقالوا عن الله : عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة[٢].

---

(١) الملل والنحل (١ / ١٦١).

(٢) انظر المقالات الإسلامية (١ / ٣٣٥).

٥- القول بخلق القرآن: قال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ وكل الخوارج يقولون بخلق القرآن[١]. وشبهتم في ذلك أنه لم يكن، ثم كان، وهو على هذا محدث، فهو كغيره من المحدثات، ويزعمون في هذا تنزيه الله عن الحوادث.

الأباضيـة :

هي إحدى فرق الخوارج وتنتسب إلى مؤسسها عبد الله بن الأباض التميمي، وهم ليسوا من غلاة الخوارج، ولكنهم يتفقون مع الخوارج، في عدة مسائل، وقد امتازت الأباضية من تسامح أغلبيتهم تجاه مخالفيهم.

وقد انقسمت الأباضية على فرق منها ما يعترف به سائر الأباضية، ومنها ما ينكرونها ويشنّعون على من ينسبها إليهم ومن تلك؛ الفرق الحفيصية، اليزيدية، الحارثية، أصحاب طاعة لا يراد بها الله[٢].

أهم معتقدات الأباضية :

(١) تعطيـل الصفات الإلهية: هم يلتقون إلى حـد بعيـد مع المعتزلة في تأويل الصفات.

(٢) ينكرون رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة.

(٣) يأولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازياً كالميزان والصراط.

(٤) القرآن لديهم مخلوق وقد وافقوا الخوارج في ذلك.

(٥) يعتقـدون بأن مخالفيهم كفار غير مشـركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال.

(٦) ينكرون الشفاعة على عصاة الموحدين.

---

(١) المقالات الإسلامية (١ / ١٨٧).

(٢) مقالات الأشعري (١ / ١٨٣).

(٧) يتهجم بعضهم على معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

(٨) لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه وإنما يجوزونه[١].

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر الأباضية في جنوب الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد انتشر مذهبهم بين البربر، وكانت لهم دولة عرفت بالدولة، «الرستمية» وعاصمتها «تاهرت»، وقامت لهم دولة مستقلة في عمان وتعاقب على الحكم إلى العصر الحديث أئمة أباضيون ولهم حواضر تاريخية منها جبل نفوسة بليبيا معقل لهم ينشرون منه المذهب ومنه يديرون شئون الفرقة الأباضية[٢].

٢ الشيعـــة :

ظهرت فرقة الشيعة مقابل الخوارج؛ حيث هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وقالوا هو أولى بالخلافة من الشيخين وعثمان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ثم بدأ التشيع يشتد شيئاً فشيئاً، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام. تظهر وتؤتي ثمارها، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل؛ كسليمان الفارسي وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة ويطلق عليهم الإمامية، لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية، وسموا بالإثنى عشرية لأنهم قالوا بإثنى عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامرا[٣].

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام غالب عواجي (١/ ١٣٠).

(٢) الموسوعة الميسرة (١/ ٦٦) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ١٣٠).

(٣) لمزيد حول هذا الموضوع ننصح بقراءة كتاب سلمان بن فهد العودة «عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام».

تنقسم الشيعة إلى:

غالية، ورافضة، وزيدية :

فالغلاة: مثل:

القرامطة : هي حركة باطنية هدامة اعتمدت على التنظيم السرِّي ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية، ولهم معتقدات، يقولون بإلهين قديمين ويقولون: بالرجعة، وأساس معتقدهم ترك العبادات والمحظورات وإقامة مجتمع على الإباحية.

الإسماعيلية : فرقة تنتسب إلى إسماعيل الصادق ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها هدم الإسلام وقد ظهرت في البحرين والشام.

الإسماعيلية الفاطمية : ظهرت في سوريا وشمال أفريقيا.

إسماعيلية البهرة : ظهرت في الهند واليمن.

الدروز : فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها من الإسماعيلية، نشأت في مصر ثم هاجرت إلى الشام عقيدتها خليط من عدة أديان وأفكار، حيث أنهم يعتقدون بألوهية الحاكم وينكرون الأنبياء جميعاً ويقولون بتناسخ الأديان[١].

الرافضة الإمامية الأثنى عشرية الجعفرية:

وهم الذين يسمون الرافضة والجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق وسموا بإثنى عشرية لقولهم بإثنى عشر إماماً، مكان وجودهم في أرض العراق وإيران ولهم

---

(١) الموسوعة المعاصرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام الدكتور غالب عوادي.

وجود في الشام ولبنان وباكستان وغرب أفغانستان والإحساء والمدينة. وتمتد جذورها الفكرية إلى طائفة السبأية[١].

أهم أقوالهم وأصولهم التي فارقوا بها أهل السنة:

(١) قولهم إن في القرآن نقصاً وزيادة وتحريفاً في الآيات التي يذكر فيها علي بن أبي طالب أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي فقط[٢].

(٢) العصمة: قولهم بالعصمة للأنبياء والأئمة من الخطأ والنسيان وعن اقتراف الكبائر والصغائر. ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلواً فاحشاً إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء، ثم زادوا فادعوا أنهم يعلمون الغيب.

(٣) قولهم في الصحابة فقد بالغوا في العداء لهم، وكفروهم وحكموا بردة أخيارهم، بل جعلوا من عبادتهم لله التقرب إلى الله بلعنهم صباح مساء، وأثبتوا من الأجر ما لا يعد ولا يحصى على من سبهم صباحاً ومساءً واختلقوا عليهم أكاذيب وافتراءات لا يصدقها من له مسكة من عقل.

(٤) قولهم بالرجعة: يؤمنون أهل السنة بالمهدي التي صحت به الأحاديث، ولكن غير مهدي الشيعة الخرافي الذي وصلوا في إيمانهم به وانتظارهم من عقائد الشيعة البارزة ولهذا فهم يقومون على سردابه بسامرا الذي زعموا أنه مقيم فيه، فيهتفون باسمه ويدعونه بالخروج حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر على الليلة التالية، ويقولون إلى أنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ.

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة/ ناصر القفاري وناصر العقل (ص١٢٣).
(٢) فرق معاصرة ج١ ص٢٨٣.

(٥) التقية مع أهل السنة: وهم يعّدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة وهي واجبة ولا يجوز رفعها حتى يخرج القائم!! فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله ودين الإمامية.

(٦) القول بإمامة علي وتقديمه على الصحابة: حيث يعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركن من أركان الإسلام، ويعتقدون أنها منصب ثبت من عند الله ـ تعالى ـ، حيث أنهم يحصرونها في علي وأولاده.

(٧) القول بالتولي لعلي والتبرؤ من صحابة رسول الله ﷺ وخاصة الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم.

(٨) القول بالبداء: البداء هو ظهور الرأي بعد أن لم يكن. بمعنى إن الله يبدو له الأمر وكأنه لم يعلمه من قبل وهذا طعن في علم الله ـ تعالى ـ.

(٩) والبدأية هم الذين جوزوا البداء على الله ـ عز وجل ـ أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له الأمر بخلاف ما اعتقده[1].

الزيدية:

تعتبر الزيدية فرقة من فرق الشيعة حيث يتصف مذهبهم بالابتعاد عن غلو الإثنى عشرية وباقي فرق الشيعة كما إن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي «زين العابدين» الذي صاغ نظرية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة. ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل حيث أنهم حصروا الإمامة في أولاد فاطمة ـ عليها السلام ـ

---

(١) «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام» غالب عواجي (١ / ٢٢١، ٣٠٥)، «الملل والنحل» (١ / ١٧١) الشهرستاني «الموسوعة الميسرة».

ورفضوا أن تكون الإمامة في غير بيت فاطمة. ولما كان أتباع زيد يقولون: بأن كل فاطمي عالم زاهد سخي يكون واجب الطاعة أراد أن يتحلى بالشرط الأول وهو العلم. فوقع في يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي[١].

الأفكار والمعتقدات:

(١) يجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة.

(٢) يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله، والاختيار في الأعمال، ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين.

(٣) يقولون بالخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته.

(٤) لا يوجد عندهم مهدي منتظر.

(٥) يرفضون الصلاة خلف الفاجر.

(٦) يخالفون الشيعة في زواج المتعة وينكرونه.

(٧) يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر.

(٨) باب الاجتهاد مفتوح لمن يريد الاجتهاد.

(٩) مصادر الاستدلال عندهم كتاب وسنة، ثم المصالح المرسلة ثم يجيء بعد ذلك العقل، فما يقر العقل صحته يكون مطلوباً، وما يقر قبحه يكون منهياً عنه[٢].

---

(١) فرق معاصرة (١ / ١٩٦) الموسوعة الميسرة.

(٢) الأديان والفرق المعاصرة (١ / ٨٤) دراسات في الفرق المعاصرة (٣٢)، د/ صابر طعيمة، فرق معاصرة (١ / ١٩٩) غالب عواجي.

أنقسمت الزيدية من حيث الاعتقاد إلى قسمين:

(١) المتقدمون المتبعون لأقوال زيد وهؤلاء لا يعدون من الرافضة ويعتقدون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) وقسم من المتأخرين منهم وهؤلاء يعدون من الرافضة، وهم يرفضون إمامة الشيخين ويسبونهما ويكفرون من يرى خلاف خلافتهما.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الزيدية في أرض الديلم وطبرستان حيث أسسها الحسن بن زيد (٢٥٠هـ)

كما أسس الهادي إلى الحق دولة ثانية في اليمن في القرن الثالث الهجري ثم تآكلت ولكن استطاعوا أن يردوا السلطة من الأتراك، إذ قام الإمام يحيى بن منصور بثورة ضد الاتراك عام (١٣٢٢هـ) وأسس دولة زيدية استمرت حتى قيام الثورة اليمنية، وانتهى بذلك حكم الزيود، ولكن لا زال اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم. وقد ظهر من بينهم علماء فطاحل أصبحوا من أهل السنة، سلفيوا المنهج والعقيدة أمثال ابن الوزير، وابن الأمير، والشوكاني، رحمهم الله تعالى[١].

٣ الأشاعـرة :

ظهرت فرقة الأشاعرة عام (٢٦٠ ـ ٣٢٤) نسبة إلى أبي الحسن الأشعري الذي كان أول أمره معتزلياً ثم ترك الاعتزال لما تبين له خطؤه وسلك طريقة ابن كلاب فأثبت بعض الصفات وأول البعض الآخر، ثم هداه الله لمذهب أهل السنة والجماعة في آخر حياته فصنف «الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» وذكر

(١) الموسوعة الميسرة (١ / ٨٥).

فيها متابعته لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ومن هذا يتبين أن الأشعري مر بثلاثة أطوار هي:

الطور الأول:

عاش في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته، ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

الطور الثاني:

ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان يدافع عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشره يوماً يفكر ويدرس ويستخير الله ـ تعالى ـ حتى اطمأنت نفسه وأعلن البراءة من الاعتزال وفيها اتبع ابن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة، العلم، القدرة، السمع، البصر، الكلام، أما الصفات الخبرية فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

الطور الثالث:

هي مرحلة اعتناقه مذهب السلف إثبات الصفات جميعها من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب «كتابه الإبانة عن أصول الديانة» الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل في وقته.

وبعد وفاة أبي الحسن الاشعري، وعلى يد أئمة المذهب واضعي أصوله وأركانه أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده ومن أبرز مظاهر ذلك التطور:

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في الفلسفة وجعلها جزءاً من المذهب.

- الدخول في التصوف والتصاق المذهب الأشعري به.

من أبرز أئمة المذهب:

- القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٢٨ ـ ٤٠٣هـ).
- أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ).
- أبو إسحاق الشيرازي (٢٩٣ ـ ٤٧٦ هـ).
- أبو إسحاق الإسفراييني (٤٨٠ هـ).
- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٢٩ ـ ٤٧٨ هـ).
- الإمام فخر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ).
- الآمدي (٦٣١ هـ).

أهم الأصول التي خالفوا بها أهل السنة:

١- يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين واليدين، وتأويل الصفات الاختيارية، كالاستواء والنزول والعلو، وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله ـ تعالى ـ على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، وضرورة لمنهج عقيدتهم أصلها أنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي قرروها بعيداً عن الشرع والنصوص الشرعية، وقعوا في مأزق رد الكل أو أخذ الكل فوجدوا في التأويل مهرباً عقلياً من التعارض.

٢- قولهم بأن الإيمان هو التصديق وأن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان وهذا القول هو بين المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق بالقلب، وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه، أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان.

٣- قولهم بان القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، ولكنه كلام الله نفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة، ففرقوا بين المعنى واللفظ فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا بالإنشاء ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه.

٤- قولهم بالكسب الذي يؤول إلى الجبر فهم من هنا وافقوا الجبرية والقدرية بنظرية الكسب، وهي في مسألتها جبرية خالصة، لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير ولهذا قال الرازي الذي عجز عن فهمها (إن الإنسان مجبور في صورة إنسان)[1].

٤ المرجئـــة :

بين الشيعة والخوارج ظهرت فرقة جديدة هي المرجئة وهي كرد فعل لآراء الخوارج، وكان ظهورها في وقت الفتنة والاضطراب الكبير الذي عم البلاد، وعند انقسام أتباع علي بن أبي طالب بسبب رضائه عن التحكيم، إلى خوارج وشيعة، وأول من قال بذلك الحسن بن محمد بن الحنفية، وقيل أول من وضع الإرجاء بالبصرة حسان بن بلال المزني.

وأصل الإرجاء التأخير، وهو تأخير العمل عن الإيمان قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ (الأعراف: ١١١).

أو يكون من إعطاء الرجاء وذلك تقول «أرجئت فلاناً» تريد أنك أعطيته الرجاء. وأجمعوا أنه لا يدخل النار إلا كافر.

(١) أنظر: منهج الاشاعرة سفر الحوالي، الموسوعة الميسرة، تناقض أهل الأهواء في العقيدة عفاف مختار، شرح أعتقاد أهل السنة والجماعة الألكائي.

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري أنهم اثنا عشر فرقة، منهم مرجئة خالصة ومنهم من يجمع مع الإرجاء بدعة أخرى، كالجبر أو القدر، ويجمعهم إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان[١].

كانت المرجئة أول مبدئها رأياً له موقفه من الخلاف الذي نشأ حول الخلافة، ثم تطورت المرجئة إلى فرقة كلامية تبحث عن مسائل الإيمان والكفر، ورأت أن الأعمال الظاهرة ليست جزءاً من الإيمان. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن الإيمان مجرد المعرفة «حرفية الجهمية»، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق ومن هؤلاء من يدخل عمل القلب كعامة فرق المرجئة، ومنهم من لا يدخل ذلك كجهم بن صفوان السمرقندي قال عنه الذهبي: «رأس الجهمية... زرع شراً عظيماً» وهو الذي قال أن الإيمان المعرفة فقط، وأن الجنة والنار تفنيان. أمر بقتله نصر بن يسار فقتل سنة ١٢٨هـ.

الثاني: إن الإيمان مجرد قول اللسان وهو ما انفردت به الكرامية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا القول الذي اختصت به الكرامية وابتدعته ولم يسبقها أحد إلى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان»[٢].

الثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء نسبة إلى الإمام أبي حنيفة وأصحابه بسبب موافقتهم المرجئة في إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان قال ابن عبد البر رحمه الله: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر أبو حنيفة وأصحابه؛

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢١٤ ـ ٢٢٣) ظاهرة الإرجاء (٢٥٣) الحوالي.

(٢) الفتاوى (١٣ / ٥٦).

فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار ومنهم من زاد المعرفة...»[١].

أهم الأصول والأقوال التي خالفوا بها أهل السنة:

(١) قولهم تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان: وهذا القول ناتج عن تعريفهم للإيمان حيث أنهم يعرفون الإيمان بأنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[٢].

(٢) قول الخالصة منهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وأن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه[٣].

وقد تواردت أقوال أهل السنة في الرد عليهم، ومن ذلك قال الإمام البخاري: «لقيت اكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل، القلب والجوارح»[٥].

(٣) حصرهم الكفر في صورة واحدة وهي الاستحلال والتكذيب. لما عرفوا الإيمان بأنه المعرفة والتصديق، حصروا الكفر بالاستحلال والتكذيب ونحوه من الجحود والإنكار والعناد، فلما قيل لهم، أن ساب الرسول ﷺ أو الساجد للصنم كافر عند الجميع، اضطروا في ذلك وقالوا أن هذه علامات على تكذيب القلب، ولعل من أعظم أسباب اضطرابهم وتناقضهم إخراج كثير من منهم أعمال القلوب من مسمى الإيمان، ولذلك ظنوا أن سب الرسول ﷺ لا ينافي

---

(١) التمهيد (٩ / ٢٣٨). (٢) ظاهرة الإرجاء سفر الحوالي.

(٣) كتاب الإيمان ابن تيمية (ص ٢١٠). (٤) منهج أهل السنة والجماعة الآلكائي (١/ ١٧٢).

(٥) الإيمان ابن تيمية (١٦٢).

اعتقاد صدقه فيجوز اجتماع ذلك مع الإيمان ولكن لو أدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان لعلموا أنه يستحيل أن يسب المرء من أحبه وخضع واستسلم له[1].

٥ المعتزلة (القدرية) :

ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٣١هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين «أي ليس مؤمناً ولا كافراً». ثم تنحى عن مجلس الحسن واعتزل جانباً يقرر رأيه، فقيل: له ولأتباعه معتزلة، وقد عاش في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وفي العهد العباسي برز المعتزلة في عهد المأمون حيث اعتنق الاعتزال عن طريق بشر المريسي، وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبى داؤد وهو أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره ورأس فتنة خلق القرآن. وهنا جاءت فتنة الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض الرضوخ لأوامر المأمون والإقرار بهذه البدعة.

ولما تولى المتوكل الخلافة عام (٢٣٢هـ) انتصر لأهل السنة، وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال أربعة عشر عاماً. بعد ذلك كاد أن ينتهي الاعتزال كفكر مستقل إلا ما تبنته بعض الفرق كالشيعة.

ثم عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر، على يد بعض الكتاب والمفكرين الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة.

ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء، وحتى اندثارها وتحللها في المذاهب الأخرى، كالشيعة والأشعرية والماتريدية ما يلي:

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥١٨). للمزيد: نواقض الإيمان الاعتقادية محمد الوهيبي، ظاهرة الإرجاء سفر الحوالي، بدع الاعتقاد محمد الناصر، العقيدة الطحاوية الطحاوي، مقالات الإسلاميين الأشعري، الصارم المسلول لابن تيمية.

(١) أبو الهذيل حمدان العلاف (١٣٥ ـ ٢٢٦ هـ).

(٢) إبراهيم النظام (ت، ٢٣١ هـ).

(٣) بشر بن المعتمر (ت، ٢٢٦هـ).

(٤) معمر السلمي (ت، ٢٢٠هـ).

(٥) ثمامة النميري (ت، ٢١٣هـ).

(٦) أبو الحسين الخياط (ت، ٣٠٠).

(٧) القاضي عبد الجبار الهمداني (ت، ٤١٤).

ثم حدد المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:

١- **التوحيد** : إن الله ـ تعالى ـ منزه عن الشبيه والمماثلة ولا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه شيء مما يجري على الناس، وهذا حق ولكنهم بنوا على ذلك نتائج باطلة منها: استحالة رؤية الله، وأن القرآن مخلوق.

٢- **العدل** : ومعناه أن الله لا يخلق أفعال العباد، ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم وأنه لا يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره.

٣- **الوعد والوعيد** : ويعني أن يجازي الله المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء سوءاً ولا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا أن يتوب.

٤- القول بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين وأنه خالد في نار جهنم. وقد قرر هذا واصل بن عطاء شيخ المعتزلة.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق.

٦- قولهم بأن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، وأن الله لا يخلق أفعال العباد وأن أفعالهم تقع منهم بغير إرادة الله، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي الذي أخذ يدعو مقولته في عهد عمر بن عبد العزيز وحتى عهد هشام ابن عبد الملك فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك.

٧- قولهم بخلق القرآن ومن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل كلياً في الاستدلال لعقائدهم وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وأدلة العقائد؛ أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني «المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح»[1].

[٦] الجهمية:

ظهرت فرقة الجهمية في بلدة ترمذ التي ينتسب إليها الجهم، ومنها انتشرت إلى بقية خراسان ثم تطورت وانتشرت بين العامة والخاصة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ثلاث درجات للجهمية، وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله وصفاته، وجهمية المعتزلة الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وقسم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ولكن فيهم من التجهم وهم الذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤلونها.

---

(١) لمزيد يراجع الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم (٣/ ١٢٨)، الملل والنحل الشهرستاني، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٤- ٣١٢) الموسوعة الميسرة (١/ ٧٢).

وأصل مقالة التعطيل وأنها ترجع في نهاية الأمر إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين، فإن أول مقالة حفظت عنه: أنه سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى. وأول ما ظهرت هذه المقالة من الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت إليه الجهمية وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ[1].

أهم الأصول التي فارقوا بها أهل السنة:

١- نفي الأسماء والصفات حيث تنكر الجهمية جميع الأسماء التي سمى الله بها نفسه، وجميع الصفات التي وصف الله بها نفسه، بحجج واهية وتأويلات باطلة. وقد وقف السلف من الصحابة الكرام إلى وقتنا الحاضر إزاء هذه الصفات موقفاً جلياً واضحاً يتلخص في كلمات هو الإيمان التام بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ كما جاءت به النصوص من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

٢- القول بخلق القرآن، ومنها نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله فيلزمهم الكفر بالله ـ سبحانه ـ القائل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (الفرقان: ٤) فقد وضحت الآية كفر من يزعم أنه من قول المخلوقين، وقول المخلوق مخلوق فيكون قولهم موافق لقول الجهمية فيلزم الجهمية الكفر بالله لقولهم بخلق القرآن ولذلك اشتهر عن السلف تكفير من قال بخلق القرآن، والصحيح أن القرآن كلام الله ـ عز وجل ـ لفظاً ومعنى.

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص ٢٤).

٣- القول بأن الله في كل مكان بذاته: وهذا هو المذهب الذي يبني عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم.

٤- القول بالجبر: وهو أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة. فيلزم قولهم أن العبد محل لإرادة حدثت فيه جبراً، وأفعاله كحركات التي تتحرك فيظن الناظر أنها تتحرك من تلقاء نفسها، فالعبد وفعله مخلوقان لله وهو محل للطاعة والمعصية فقط، وليس فاعلاً لها، فالعبد وفعله عطاء لله، وحيث أنه هو محله فان الله يثيب عليه عند الطاعة ويحاسب عند السيئة، فلازم قولهم أن الله يحب المعاصي والذنوب والآثام ويقوم بها، لأنه هو الفاعل الحقيقي لا العبد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٥- القول بالإرجاء وأن الإيمان هو المعرفة، وأن قول اللسان ليس جزءاً من الإيمان داخلاً فيه ولا شرطاً خارجاً عنه؛ وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية. فمتى كان مؤمناً بقلبه ولم ينطق بالشهادة دون عذر فهو ناج عند الله وإن أجريت عليه أحكام الكافرين في الدنيا. وهنا يظهر التناقض، فالمؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة والكافر كافر في الدنيا والآخرة وليس كما يزعمون أنه تجري عليه في الدنيا أحكام الكافرين.

٦- القول بفناء الجنة والنار: فإن هذا الأصل قد قاله الجهم بناء على أصله الذي أعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، فهو يرى أن ما يمنع من وجود ما لا يتناهى يمنعه في المستقبل، كما يمنعه في الماضي، فيلزمه على ذلك أن يكون الدائم ممتنعاً على الرب ـ سبحانه وتعالى ـ فيكون مضمون كلامه أن الله عاجز، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].

---

(١) أهل الأهواء والبدع في العقيدة عفان مختار (١/ ٢٣٧). فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/ ٩٨٥).

بعد هذا العرض السريع المختصر لأهم الأهواء والفرق قد يسأل سائل ويقول:

ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الانحرافات العقدية؟

فأقول كما ذكر صاحب مقدمة الألكائي المعروف بشرح أصول أهل السنة والجماعة وكما ذكر صاحب كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق أن الأسباب داخلية وخارجية.

الأسباب الداخلية هي:

١- **إتباع الهوى**: ويعتبر إتباع الهوى من أهم الأسباب في نشأة الكثير من الفرق الضالة والطوائف المنحرفة، لأن أصحاب هذه الفرق قدموا أهواءهم على الشرع أولاً، ثم حاولوا جاهدين أن يستدلوا بالشريعة على أهوائهم، وحرفوا النصوص والأدلة لتوافق ما هم عليه من أهوائهم. ولأجل ذلك كان علماء السلف الصالح يطلقون على أهل البدع وفرق الضلال لفظة (الأهواء).

بل الهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها. قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ (البقرة: ٨٧) وكل من أعرض عن الهدى والحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام، فقد اتبع الهوى، يقول تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النجم: ٢٣). وقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ (القصص: ٥٠).

وقد كان ﷺ يتعوذ بالله من منكرات الأخلاق، والأعمال والأهواء، كما ثبت في الحديث كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء**»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٤٠).

ولذلك حذر أمته ﷺ من أهل الأهواء وفرق الضلال، فقد جاء في بعض روايات حديث الافتراق التحذير من أهل الأهواء وذكر وصفهم من حديث معاوية بن أبي سفيان قال: قال: رسول الله ﷺ: **«ألا وانه يخرج في أمتي قوم يهوون هوىً يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع منه عرقاً ولا مفصلاً إلا دخله»**[١].

٢- **الجهل بأصول السلف الصالح رضوان الله عليهم** : ومعلوم أن ما سوى الشرع موزون وليس بميزان، ومحكوم وليس بحاكم، ولذلك وقع كثير من أهل الفرق في التخبط والبدع والضلال.

- ذكر الشاطبي أن من أسباب خروج الخوارج وضلالهم هو جهلهم بمقاصد الشريعة، والخوض في معانيها بالظن من غير تثبت، الأخذ فيها بالنظر الأول لذلك وصفهم النبي ﷺ بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

قال شارح الطحاوية: بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأ في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد[٢]. وقد ذكر مؤلف مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم (ص ٩٩): والجهل قد يكون لنقص العلم وقد يكون لعدم وجود العلم النافع وكلاهما حذر الله ورسوله منهما.

٣- **الغلو والإفراط** : ويمثله مذهب الخوارج والشيعة، فقد غلو في فهم آيات الوعيد وأعرضوا عن آيات الرجاء والوعد بالمغفرة والتوبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٥٩٧) وأحمد في المسند (٤/ ١٠٢) وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني انظر تخريج السنة (١ /٧).

(٢) شرح الطحاوية (ص٣٩٢).

وقد أدى بها الأمر إلى أن انتهجت نهجاً معيناً في النظر إلى النصوص ومن ثم تبلور لها منهج فكري محدد اتسم بظاهرية شديدة وغلو شنيع في النظر والاستدلال مع كونهم متشددين في العبادة.

وأما الشيعة قد كان الغلو أحد أسباب ظهورها، وراء ستار التشيع لأهل البيت وابتدعوا في الدين ما لم ينزل به الله سلطانًا، ثم كانت بدعة الإرجاء هي الطامة فنشرت الفساد في المجتمع الإسلامي لما ادعته من إن المسلم هو من نطق بالشهادتين لفظاً دون التزام بالعمل ففتحوا باب الفساد والاستهتار بالشعائر والشرائع، وجرءوا الناس على حدود الله فكانوا دعاة فسق وانحلال بما نشروا من مبادئ[1].

٤- تحكيم العقل على النقل: لقد جعل الله العقول مجالاً محدوداً تعمل فيه فإذا تعدته كان ذلك من أصحابها ظلماً وكان نتيجة ذلك الضلال والتخبط والحيرة، وبالتالي كان هذا الأمر سبباً في ظهور بعض الفرق التي حكمت العقل وجعلته مصدراً أولياً للتلقي، وكانت المعتزلة أولى الفرق، يقول الشاطبي - رحمه الله - عن بعض طرق الاستدلال عند المبتدعة، فذكر منها: «ردهم الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر... ونحن نقول للمعتزلة: العقول البشرية متفاوتة فيما بينها فما يعرفه عقل قد ينكره آخر، وما يتصوره عقل قد يجهله آخر إلى غير تلك الاختلافات... فأي عقل منها إذن هو الذي يؤخذ حكمه ويجعل ميزاناً لمعرفة الحقائق الشرعية»؟!.

٥- الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشنع منها: ويمثل ذلك بدعة المرجئة بدأت في مواجهة الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه والحكمين معه،

(١) مقدمة شرح اعتقاد أهل السنة (ص ٥٧) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين (ص ٣٦).

فقالت المرجئة : لا نحكم فيهم ونرجي أمرهم إلى الله ولكن لن يلبث الحديث في الإرجاء إلا أن انتهى إلى القول بأنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة ، ثم ظهرت المعتزلة ببدعة المنزلة بين المنزلتين ، كخط وسط بين الخوارج والمرجئة.

الأسباب الخارجيـــة:

١- دخول كثير من أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام ، مع عدم تخلصهم من أفكارهم ومعتقداتهم السابقة ، فأثاروا الشبهات في الإسلام.

٢- احتكاك المسلمين بالأمم المجاورة ، وقد أدى ذلك إلى سرعة التأثر والتأثير فيما بين المسلمين وغيرهم. حيث لكل أمة تراث فكري عقائدي خاص ، كما أن لها عاداتها وتقاليدها وطبائعها وكان من نتيجة هذا الاختلاط أن تأثر المسلمون بذلك.

٣- ترجمة كتب الفلسفة والمنطق التي تحمل ثقافة تلك الحضارات والعقائد والإلهيات اليونانية وغيرها ، قد كان له أكبر الأثر في فكر الفرق بعد أن تطور من مرحلته الأولى والتي كانت غالباً ما تناقش أفكاراً أبسط من تلك المسائل التي تناولتها مؤخراً بعد انتشار تلك الكتب وازدياد حركة الاختلاط ، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد كانت المسألة التي دار حولها وجود فرق المعتزلة في أول الأمر موقف مرتكب الكبيرة ، وهو هل مسلم أم كافر؟ أم في منزلة بين المنزلتين؟

ولكن المذهب تطور واتسع وشمل الكثير من المسائل الفلسفية كما يتضح من أقوال أبي الهذيل العلاف المتوفى (٢٣٥) هـ حيث بحث في طبيعة الجسم وفي الجوهر الفرد والكم ، وعلة الخلق...

يقول الشهرستاني: مثبتاً تطور أساليب الفرق وأفكارها: «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام»(١).

٤- دخول بعض المغرضين من اليهود وغيرهم من أصحاب الديانات في الإسلام بقصد الكيد للإسلام، وبغية هدمه وتحريفه، وكان عبد الله بن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام في خلافة عثمان، وقد تسبب في إثارة الفتنة عندما توجه إلى مصر وتكلم بالرجعة ثم بوصاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتهاء بادعاء الألوهية فيه. وكان أصل القول بخلق القرآن وبالجبرية لبيد بن الاعصم الذي سحر النبي ﷺ وكان يهودياً فأخذ عنه ذلك ختنه طالوت فأخذه عنه أبان ابن سمعان ثم الجعد بن درهم فالجهم بن صفوان ثم بشر المريسي الذي كان من أصل يهودي. وأصل القول في القدر يرجع إلى رجل نصراني اسمه سوسن.

وهكذا نجد العوامل والمؤثرات الخارجية ذات تأثير في نشأة الفرق ووقوع الخلاف.

وبعد أن استعرضنا ظهور الفرق التي خالفت أصول أهل السنة ننتقل بعد ذلك إلى الفرقة الناجية المنصورة التي أشار إليها الحديث من حيث تفترق هذه الأمة، ولمحات عن منهجها في العقيدة والعبادة والأخلاق والدعوة والنظر والاستدلال والرد على المخالف وغير ذلك من المواضيع.

ارجع فيما سبق إلى المراجع التالية:

- المقالات لأبي الحسن الأشعري،
- الفرق بين الفرق للبغدادي.

---

(١) الملل والنحل (٣ / ٣٢).

- الملل والنحل للشهرستاني.
- شرح أصول أهل السنة والجماعة للألكائي.
- وسطية أهل السنة بين الفرق د/ محمد باكريم.
- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم. محمد العبدة وطارق عبد الحليم.

الباب الثاني

التعريفات

١- أهل السنة والجماعة. ٢- أهل الحديث.
٣- أهل الأثر. ٤- السلف.
٥- الفرقة الناجية. ٦- الطائفة المنصورة.

أولاً: أهل السنة والجماعة:

السنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة؛ حسنة أو قبيحة وهي مأخوذة من السنن وهي الطريق وفي الحديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها....**»[١]. رواه مسلم.

السنة في الاصطلاح: يختلف معناها في الاصطلاح عند كل من المحدثين والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وعلماء أصول الدين ومنشأ هذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي لها؛ اختلافهم في الأغراض التي يعني بها كل فئة من أهل العلم.

فالسنة في اصطلاح المحدثين: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية سواء كانت قبل البعثة أو بعدها[٢].

والسنة عند الأصوليين: هي: «ما نقل عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير» فعلماء الأصول عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية[٣].

---

(١) لسان العرب مادة سنن.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي (ص ٤٧).
(٣) الموافقات للشاطبي (١/ ٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تعريف السنة: «وفي اصطلاح الشرع هي ما قاله رسول الله ﷺ أو فعله أو قرر عليه»[١].

أما السنة عند الفقهاء: هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[٢].

منهم من نظروا إلى تعريف السنة من حيث حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة قال الخطيب البغدادي: «وقد غلب على السنة الفقهاء أنهم يطلقون السنة فيما ليس بواجب. فينبغي أن يقال في حد السنة: إنها ما رسم ليحتذى استحباباً»[٣].

قال الحافظ ابن حجر في تعريف السنة عند الفقهاء: «وفي اصطلاح بعض الفقهاء ما يرادف المستحب»[٤].

وإذا نظرنا في كلام كثير من السلف نجدهم يعنون بالسنة معنى أوسع من معناها عند الأصوليين والمحدثين والفقهاء، إذ يعنون بالسنة موافقة الكتاب وسنة الرسول ﷺ وأصحابه سواء في أمور العقائد أو العبادات، ويقابلها البدعة.

ويطلق لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب والسنة أو لم يجد لكونه اتباع لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا.

ولأهمية خطورة مسائل الاعتقاد أطلق السلف الصالح لفظة السنة على موافقة الكتاب والسنة في الاعتقاد.

---

(١) مذكرة أصول الفقه (ص ٩٥).
(٢) إرشاد الفحول للشوكاني (ص ٣٣).
(٣) الفقيه والمتفقه (ص ٨٦).
(٤) الفتح ١٣ /٢٤٥.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات وإن كان كثير من صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات»[١].

ومن الأئمة الذين ذكر عنهم ذلك: سفيان بن عيينة (ت ١٩٨)، الإمام الشافعي (ت ٢٠٤)، علي بن المديني (ت ٢٣٤)، الإمام أحمد (ت ٢٤١)، سهل بن عبد الله التستري (ت٢٧٣) وغيرهم.

ولذلك نجد أئمة السلف كثيراً ما يفرقون بين السنة والحديث ويجعلون السنة في مقابل البدعة، والحديث هو أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته.

فهذا الإمام الشافعي يقول: «أحمد إمام في ثمان خصال إمام في الحديث، الفقه، اللغة، القرآن، الفقر، الزهد، الورع، إمام في السنة»[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «الناس على وجوه فمنهم إمام في السنة، وإمام في الحديث» ويشرح لنا الإمام بن الصلاح الفرق بين السنة والحديث عندما سئل عن قول بعضهم عن الإمام مالك رحمه الله إنه جمع بين السنة والحديث فما الفرق بين السنة والحديث أجاب: «السنة هاهنا ضد البدعة وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رحمه الله جمع بين السنتين فكان عالماً بالسنة أي: الحديث، ومعتقداً للسنة، أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة»[٣].

أما لفظ الجماعة في اللغة: من الاجتماع وهو ضد التفرق[٤].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام (ص ٧٧).

(٢) طبقات الحنابلة (١/٥).

(٣) أنظر فتاوى ابن الصلاح (١/٢١٣) عن الواسطية (ص٤٠).

(٤) المعجم الوسيط (١ /١٣٥) القاموس المحيط (ص٩١٧).

وأما لفظ الجماعة في الاصطلاح فقد تتبع الإمام الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ أقوال العلماء في معنى الجماعة فوجده في خمسة أقوال لأهل العلم كما يلي:

١- ذهب البعض إلى أن الجماعة هم الصحابة دون من بعدهم «فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً» وهذا القول مروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله[١].

٢- وقيل هم أهل العلم والفقه والحديث من الأئمة المجتهدين، لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين، وهذا القول للإمام البخاري[٢].

٣- وقيل الجماعة: هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من أمور الشرع وهذا القول راجع إلى القول الثاني[٣].

٤- وقيل هم السواد الأعظم: وهذا القول مروي عن ابن مسعود الأنصاري وهذا مرجعه إلى القولين السابقين[٤].

٥- وقيل الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام أو أمر شرعي وهذا رأي الطبري الذي ذكر الأقوال السابقة ثم قال والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ومن نكث بيعته خرج عن الجماعة[٥].

وهذا الأقوال تؤول إلى قولين:

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢ / ٢٦٢).
(٢) فتح الباري (١٣ / ٢٧).
(٣) الاعتصام (٢ / ٢٦٣).
(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية/ أبو عبد الله العكبري (٢ / ٤٨٢).
(٥) فتح الباري (١٣ / ١٠٤).

١- أنها الجماعة إذا اجتمعوا على إمام بمقتضى الشرع فيجب لزوم هذه الجماعة ويحرم الخروج عليها.

٢- أنها ما عليه أهل السنة من الإتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة أو أهل العلم أو أهل الاجتماع أو أهل الحديث أو السواد الأعظم كلها ترجع إلى معنى واحد[١].

وهذا التعريف للسنة والجماعة باعتباره لفظاً مركباً. فقد عرفنا السنة والجماعة في اللغة والاصطلاح أما باعتباره علماً على التسمية فيكون.

معنى أهل السنة والجماعة:

أهل الشيء هم أخص الناس به فأهل السنة: أي: أخص الناس بها وأكثرهم تمسكاً بها واتباعاً لها عملاً واعتقاداً. ولفظ أهل السنة يطلق ويراد به أحد معنيين:

المعنى الأول: معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة فيقال هذا رافضي، وهذا سني، وهذا هو اصطلاح العامة[٢].

المعنى الثاني: معنى أخص أضيق من المعنى العام ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع ويخرج به سائر أهل الأهواء والبدع كالخوارج والجهمية المرجئة وغيرهم من أهل البدع[٣].

وبعد أن عرفنا معنى أهل السنة والجماعة ننتقل بعد ذلك إلى تعريف ألقاب أهل السنة والجماعة كما يلي:

---

(١) معالم الانطلاقة محمد المصري ص ٤٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٦/٩).

(٣) المصدر السابق (٣ /٣٧٥).

١- السلف أو السلفية أو السلفيون: هذا اللفظ نسبة إلى السلف الصالح رضي الله عنهم.

المعنى في اللغة : جمع سالف على وزن حارس، والسلف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون ومنه قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۝ ﴾ (الزخرف: ٥٦).

السلف في الاصطلاح : اختلف في تحديد مفهوم السلف زمنياً على عدة أقوال:

١- قيل هم الصحابة.

٢- وقيل هم الصحابة والتابعون.

٣- وقيل الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين: أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي ﷺ الخيرية بقوله في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما : «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ...**» رواه البخاري.

فكل من التزم بعقائد وفقه وأصول هؤلاء الأئمة كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان. وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم وجمعهم نفس المكان والزمان[١].

٤- وقيل إن السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة وهذا القول بعيد.

ولعل الراجح هو القول الثالث والله تعالى أعلم.

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى (ص ٥٢).

أهل الحديث والأثر:

معنى الحديث في لغة : ضد القديم.

واصطلاحا : هم المشتغلون بعلم الحديث روايةً ودراية. وأهل الحديث هم أهل السنة ؛ ولذلك فعلماء السلف عندما يذكرون أهل الحديث يعبرون بهم عن أهل السنة ولا يفرقون بين المصطلحين، فهذا الإمام الصابوني (٣٧٢ ـ ٤٤٩) يقول في عقيدته: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله ـ تعالى ـ بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة...» إلى أن قال: «وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم»[١].

وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول مثلاً: «.... مذهب السلف أصحاب الحديث والسنة والجماعة».

تعريف الفرقة الناجية:

أخذ من قوله ﷺ في حديث الافتراق عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»**[٢].

فأخبر ﷺ أن الفرق كلها هالكة إلا واحدة فهي ناجية وهي الجماعة، وفي رواية ما أنا عليه وأصحابي. وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل السنة. ولذلك نجد كثيراً من أهل العلم قديماً وحديثاً يجعلون الفرقة الناجية علماً على أهل

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٣-٤)، كتاب وسطية أهل السنة (ص ١١٦ ـ ١١٧).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن وابن أبي عاصم في السنة والحديث بهذا الإسناد ضعيف ولكن حسن بشواهده، انظر صفة الغرباء سلمان العودة (١-٢ / ٣٠).

السنة، ومن ذلك صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة العقيدة الواسطية حيث قال: «أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة».

الطائفة المنصورة:

هذا اللقب مستفاد من حديث المصطفى ﷺ في حديث معاوية بن قرة عن أبيه قال: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[1].

وهذه الطائفة تجتمع فيها أسباب النصر المعنوية والمادية التي خلقها الله عز وجل. من علم صحيح وسلوك مستقيم مع سنن الله في كونه، وأخذ بالمقدمات التي جعلها الله وسيلة موصلة إلى نتائجها المرجوة، فينصرها الله عز وجل فلا يضرها من خالفها ولا من خذلها. فالطائفة المنصورة إذن هي مجموعة من أهل السنة والجماعة وقد قال كل من الإمام، ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وعلي بن المديني، والإمام أحمد: أنهم أصحاب الحديث ويقصدون بهم أهل السنة[2].

◇|◇|◇|◇|◇

(١) صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجة.

(٢) معالم الانطلاقة الكبرى (ص ٥٢).

الباب الثالث

منهج السلف الصالح مع الإشارة إلى مميزات المنهج السلفي خاصة في العقيدة

أولاً: مميزات منهج أهل السنة والجماعة:

١- إن عقيدة هذا المنهج تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام وتقطع دروب الشيطان إلى نفسه بعد أن تورث في النفس الطمأنينة الصادقة والارتياح الكامل وهذا هو المطلوب من المسلم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحجرات: ١٥). بينما تجد الكثيرين من أتباع الفرق الأخرى في حيرة تلازم بعض اعتقاداتهم. قال الإمام الغزالي في الجواهر: «الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا».

٢- إن هذا المنهج يجعل المسلم معظماً لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب فلا يرد شيئاً منها ولا يؤول ولا يشبه ولا يمثل وإن المتتبع لكتب الفرق يجد الأمثلة الكثيرة على عدم تعظيمهم لنصوص الوحي، ومن ذلك قول المعتزلة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣). قالوا منتظرة الثواب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (النساء: ١٦٤)، قالوا: جرحه بأظافر الحكمة وقد قادهم هذا الضلال اعتقادهم أن القرآن مخلوق وأن الله لا يتكلم.

وكذلك تفسير الجهمية لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥)، أنه استولى وقد ألجأهم إلى هذا الكذب اعتقادهم أن الله في كل مكان وأن العلو ليس صفة لله ـ تعالى ـ وكذلك تفسير الرافضة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾(البقرة: ٦٧) قالوا: عائشة.

٣- إن هذا المنهج وهذه العقيدة تربط المسلم بالسلف، وتجعله يسير وهو مطمئن البال أنه يسير في ظلال الفرقة الناجية المنصورة.

٤- ومن الأسباب أيضاً الهامة أن القرآن الكريم قد نبه إلى ضرورة الالتزام بما كان عليه السابقون الأولون وحذر من اتباع غير ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء: ١١٥).

٥- إن هذا المنهج وهذه العقيدة تحقق للمسلمين الوصف الذي رضيه الله تعالى لهم حيث وصفهم بقوله تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾فدور العقل في العقيدة السلفية هو دور الرضى والاطمئنان والتقدير لعظمة الله ـ تعالى ـ والتفكر في مخلوقاته.

٦- ومن الأسباب الهامة في التأكيد والدعوة لمنهج السلف الصالح أن هذا المنهج وهذه العقيدة توحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم؛ لأنها عقيدة الكتاب والسنة فهي تحقيق عملي ومناداة صريحة لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(آل عمران: ١٠٣).

هذا خلاف الدعوة إلى عقائد الفرق الأخرى التي تفرق ويختلف المسلمون عليها ولا يتفقون، وما أشد حاجة الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ والجماعات

الإسلامية في عصرنا إلى الاجتماع على منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة، فإنه هو الحل الوحيد بعد تجريد القصد لله ـ تعالى ـ لاجتماع الدعاة ونبذ الخلاف المذموم بينهم ولذلك فلابد من الدعوة إلى هذا المنهج والتأكيد عليه وبيان معالمه للناس.

٧- ومن سمات هذا المنهج وهذه العقيدة أنها تنفرد فيها التمسك بسنة النبي ﷺ كاملة وعدم رد شيء منها أو تأويله.

٨- كما تجنب هذه العقيدة المسلم الهلكة بتركه الخوض في مسائل العقيدة ومناقشة الخصوم وأهل البدع والزيغ فهي تبعد بالمسلم حقاً عن التفكير في ذات الله ـ تعالى ـ، فهي سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والألغاز[1].

ثانياً: منهج التلقي عند أهل السنة والجماعة:

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة هي:

١- الكتاب العزيز. ٢- السنة المطهرة.

٣- الإجماع. ٤- دلائل العقول.

منهج التلقي:

المنهج لغة: الطريق. وفي الاصطلاح بحسب ما يضاف إليه فيقال المنهج الإسلامي والمنهج الوضعي والمنهج العلمي.... الخ.

ونقصد بمنهج التلقي عند السلف الطريق الذي يتلقى بواسطتها علومهم والمصادر الذي يتلقون منها عقائدهم، وتصوراتهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم.

---

(١) انظر فيما مضى المميزات للعقيدة السلفية كتاب الله «علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين» للدكتور رضا بن نعسان مرضي (ص ١٧ ـ ٣٤) تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز.

ويمكن أن تلخص منهج التلقي عند السلف في النقاط الآتية:

١ - كل ما وافق الكتاب والسنة أثبتوه وكل ما خالفهما أبطلوه «فهم يدورون مع الدليل، ولا يخرجون عنه بحال، وهذا ما يميزهم عن غيرهم في التلقي» فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا كلام لأحد قبل كلام الله ـ تعالى ـ ولا هدى لأحد قبل هدي محمد ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم أهل الكتاب والسنة: لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، ويتبعون أثاره ﷺ باطناً وظاهراً»[1].

٢- لا معصوم عندهم إلا رسول الله ﷺ، فالأئمة عندهم ليسوا معصومين، بل كل يؤخذ من كلامه ويرد عليه، إلا رسول الله ﷺ فمقالتهم تابعه للكتاب والسنة وليست مقدمة عليها.

٣- إجماع السلف وهم الصحابة عندهم حجة ملزمة لمن بعدهم، فإذا أجمع السلف على مسألة فهذا الإجماع حجة لقوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**» مثل إجماعهم على توريث الجدة السدس ومثل إجماعهم على قتال مانعي الزكاة... الخ

٤- لا يقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع فما وافقهما أخذوه وما عارضهما أبطلوه.

٥- لا يعارضون القرآن والسنة بعقل أو رأي أو قياس أو ذوق أو وجد.

٦- الجماعة عندهم مناط النجاة في الدنيا والآخرة، فأهل السنة متمسكون بجماعة رسول الله ﷺ معرضون عن مواطن الفرقة والخلاف، ملتزمون بجمل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ /٨١٥٧).

الكتاب والسنة والإجماع، بعيدون عن مواطن الشبهات التي تفرق الجمع وتشتت الشمل.

فهم معتصمون بالجماعة وهو كونهم على ما كان عليه الرسول ﷺ من الإتباع وترك الابتداع في العقيدة والشريعة.

٧- لا يوجبون على العاجز في معرفة العلم ما يجب على القادر، وأهل السنة يؤمنون بما جاء عن النبي ﷺ إيماناً مجملاً، ولكنهم يفرقون بين العاجز والقادر أي: بين العالم وطلبة العلم الذين يستطيعون النظر في الأدلة وبين الجاهل الذي لا يستطيع ذلك وإنما يقلد ويكون إيمانه معرفة ما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً دون تفصيل، وهذا أصل عظيم وقعت بسبب عدم معرفته فتن كثيرة[١].

ثالثاً: منهج أهل السنة والجماعة في تقرير وفهم العقيدة:

يقول الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي محقق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام الآلكائي: ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن منهج أهل السنة والجماعة في فهم العقيدة الإسلامية: هو المنهج الصحيح الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم، لكي تصبح بحق أمة إسلامية تستحق نصر الله ـ تعالى ـ، وذلك المنهج يتمثل في:

١- إتباع الكتاب والسنة في كل قضية من قضايا العقيدة، وعدم رد شيء منهما أو تأويله.

فأما الاستشهاد بالكتاب الكريم، فهو أمر متفق عليه بين المسلمين إلا أن أصحاب الاتجاه العقلي يؤولون كثيراً من الآيات على غير ظاهرها، وأما أهل

(١) انظر ما مضى: منهج التلقي باختصار وتصرف يسير من معالم الانطلاقة الكبرى أهل السنة والجماعة ص: (٦٥ ـ ٦٩).

السنة والجماعة فيحملونها على ظاهرها لا يؤولون شيئاً منها. يقول القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة: «وإذا ورد في القرآن آيات تقتضي بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ودليل العقل بعيد عن الاحتمال وأما الاستشهاد بالسنة فقد وقع الخلاف فيه بين (أهل السنة) و(أصحاب الاتجاه العقلي) فأما أهل السنة فيستشهدون بما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة ولا يردون شيئاً منها أو يؤلونه. والآثار في إثبات هذا عن السلف كثيرة ونكتفي ببعضها:

قال الإمام أحمد في أحاديث الصفات: «ونؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئاً منها إذا كانت بأسانيد صحاح» ذكر ابن القيم أن هذه الرواية رواها الخلال (٢/٢٥٢).

وسئل محمد بن الحسن عن بعض أحاديث الصفات فقال: إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها[١].

قال أبو عبيد عن بعض أحاديث الصفات هذه الأحاديث قد روتها الثقات بعضهم عن بعض هذا هو المنهج السلفي: قبول الأحاديث الصحيحة دون الضعيفة أو الموضوعة.

أما أصحاب الاتجاه العقلي فإنهم يخالفون هذا المنهج السلفي في الاستشهاد بالسنة النبوية ويرفضون السنة ولو كانت صحيحة ما لم تكن متواترة ويأخذون بما تقرره عقولهم.

٢- الالتزام بما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ: والأخذ بأقوال الصحابة ﭫ وتقديمها على أقوال من بعدهم فإن ذلك لما فضلوا به من مشاهدة

---

(١)الألكائي (٢ / ٤٨٠).

التنزيل ومعاصرة الوحي الإلهي وصفاء أذهانهم مما جد من البدع الضالة إلى جانب ما يتمتعون به من الفهم اللغوي للنصوص الشرعية[١].

وقول الصحابي لا يكون حجة ملزمة إلا في الحالات الآتية:

١- قول الصحابي الذي لا يدرك بالرأي والعقل يكون حجة على المسلمين لأنه لابد أن يكون قاله عن سماع من الرسول ﷺ.

٢- قول الصحابي الذي لا يعلم له مخالف من الصحابة يكون حجة على المسلمين ؛ لأن اتفاقهم على أمر في واقعة مع قرب عهدهم بالرسول ﷺ وعلمهم بأسرار التشريع ، واختلافهم في وقائع كثيرة غيرها دليل على استنادهم إلى دليل قاطع مثل اتفاقهم على توريث الجدات السدس.

٣- قول الصحابي أحل لنا كذا وحرم علينا كذا.

٤- عدم مجادلة أهل البدع ، أو مجالستهم ، أو سماع كلامهم ، أو عرض شبههم.

وعلماء السلف يكرهون مناظرة أهل البدع والجلوس معهم ، بل نهو عن نقل شبههم أو عرضها على المسلمين وذلك لخوفهم من ضعف الناقل لها وعجزه عن إبطالها فيفتتن بها بعض من سمعها ، أو قرأها وفي هذا صيانة لقلوب المسلمين ، وحماية لعقولهم وأفكارهم ، زيادة على كون ذلك فيه إهانة للمبتدعة ومحاصرة لآرائهم وعدم جعل الكتب السلفية جسوراً تعبر عليها تلك الآراء المنحرفة ومن الآثار الواردة عن السلف في ذلك :

١- روى البغوي عن سفيان الثوري أنه قال : «من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم»[٢].

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للألكائي (١ / ٧٧).

(٢) شرح السنة للبغوي (١ / ٢٢٧).

٢- روى ابن بطة عن أيوب أنه قال: «لست ترد على أهل البدع بشيء أشد من السكوت»[١].

٣- روى عبدالله بن السري: ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لا تكلم أحداً منهم[٢].

ولهذا فإن المؤلفين من أهل السنة ينهجون في مؤلفاتهم منهج العرض لعقيدة السلف، مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية ودون عرض للشبهة أو أدلتها، ونادراً ما يخالفون هذا المنهج «ويقصدون بذلك أهل البدع العقدية من الفرق القديمة، كالمعتزلة، والجهمية، والخوارج، والفرق المعاصرة، كالإشتراكية والبعثية، والقومية، وينبغي أن يعلم أنه فرق أن تنتشر البدع وأصحاب البدع وبين أن تكون قابعة في حجرها».

وقد تكون المصلحة ـ أحياناً ـ في مناظرة أهل البدع وإقامة الحجة عليهم.

٤- عدم الخوض في الأمور الاعتقادية التي لا مجال للعقل البشري إدراكها من الأمور الغيبية، وأما عدم الخوض في المسائل الاعتقادية فإن ذلك لإدراكهم وتيقنهم بأن العقل البشري عاجز عن معرفة الأمور الغيبية بنفسه استقلالاً، وأن دور العقل: هو الفهم والاتباع والاعتقاد لما جاء به الوحي، وليس الرد والاعتراض لأن الوحي جاء ليكون ميزاناً بين هذه العقول المختلفة﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢)[٣].

٥- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم:

---

(١) الإبانة (٢/ ٣٦٥).

(٢) الإبانة (٢/ ٣٦٥).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة تحقيق الغامدي (١/ ٧٧).

وأهل السنة والجماعة يحرصون على وحدة الكلمة، ويعتقدون أن الجماعة هي مناط النجاة في الدنيا والآخرة وأن الإسلام دين الجماعة، كيف لا وهم أهل السنة والجماعة والاجتماع، كيف لا ونصوص في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تأمرهم بذلك منها قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١). وفي السنة أحاديث كثيرة تأمر بلزوم السنة والجماعة ومن ذلك ما يلي:

(١) قال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**». رواه مسلم.

(٢) وقال ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية**». رواه مسلم

(٣) وقال ﷺ: «**يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الشاة ذئب الغنم**». الحديث صحيح له شواهد.

(٤) وقال ﷺ: «**... وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**، قيل ومن هي يا رسول الله، قال: **الجماعة**». رواه ابن ماجة والألكائي، وحديث حسن.

(٥) وقال ﷺ: «**لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً قال يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار**». حديث حسن بشواهده.

(٦) وقال ﷺ: «**استوصوا بأصحابي خيراً ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها فمن أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**». الحديث سنده حسن.

(٧) وقال ﷺ : «**إن الشيطان ذئب ابن آدم كذئب الغنم يأتي إليها فيأخذ الشاة القاصية والناحية**». الحديث سنده صحيح.

(٨) وقال ﷺ : «**إن الله أمرني بالجماعة وأنه من خرج من الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**». الحديث سنده حسن بطرقه الكثيرة.

(٩) وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به وأن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة». رواه الآجري، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقد تقدم لنا معنى الجماعة في الصفحات الماضية، وأنها الاجتماع على إمام بمقتضى الشرع والاجتماع على أصول أهل السنة والجماعة وعدم الخروج عليها.

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يحقق المسلم المعاصر الالتزام بالجماعة في وقته الحاضر؟ وحتى تتضح الإجابة نستعرض الأحوال والمراحل التي مرت وتمر وستمر بأهل السنة الجماعة وهي كالآتي:

الحالة الأولى : أن يكون الإمام الشرعي موجوداً ويكون هذا الإمام إماماً لأهل السنة متبعاً لمذهبهم، ملتزماً به داعياً إليه، وهذا مثل عهد الخلفاء الراشدين.

فقد اجتمع في عهدهم المعنيان الواردان في الجماعة وقد سبقت الإشارة إليها، وفي هذه الحالة يجب على كل مسلم أن يتبع الجماعة وأن يلزمها بأميرها وبما تدعو إليه.

الحالة الثانية : أن يكون الإمام والجماعة موجودان، ولكن الإمام إما مبتدعاً أو ظالماً أو فاسقاً مع عدم خروجه عن الشرع ففي هذه الحالة على المسلم واجبان:

١- أن يلزم الإمام بمعنى عدم الخروج عليه ولا يطيعه في البدع والمعاصي ولا يكون عوناً له على ظلمه.

٢- أن يلزم مذهب أهل السنة الجماعة ويكون مع الجماعة التي تدعو إلى مذهب أهل السنة والجماعة ويدعو معها إلى الحق ومجاهدة البدع.

الحالة الثالثة : أن لا يكون هناك إمام شرعي لا عدلاً ولا جائراً كما هو في هذا الزمان ولكن توجد الجماعة التي تدعو إلى أهل السنة. فواجب المسلم في هذه الحالة أن يلتزم أقرب الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى أهل السنة والجماعة ، ويدعو إلى الله من خلالها وأن يعملوا جميعاً على القيام بواجبهم في إقامة الدين والدعوة إلى مذهب أهل السنة والجماعة ويدل على هذا قول الرسول ﷺ: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فمفهومه أنه إذا وجدت للمسلمين جماعة وليس لهم إمام شرعي فإنه يجب التزام هذه الجماعة.

الحالة الرابعة : أن لا يوجد للمسلمين إمام ولا جماعة تدعو إلى مذهب أهل السنة وهذا قد يحدث في زمان الفتن الكبرى وبعض البلاد. ففي هذه الحالة فالمسلم واجب عليه أن يبحث عن تجمع لمذهب أهل السنة فإن لم يجد فعليه أن يدعو إلى منهج أهل السنة حتى يكون ألفة وجماعة ، والسلف كانوا يدعون في البلاد النائية إلى مذهب أهل السنة وتكوين جماعة[١].

وبعد هذا العرض يتضح أن واجب المسلم في تحقيق الاعتصام بالجماعة في هذا العصر هو كما مر في الحالة الثالثة ، وأن على المسلم أن يكون مع الجماعة التي تدعو إلى منهج السلف ـ منهج العدل والوسط.

---

(١) الانطلاقة الكبرى محمد المصري (١٨١ ـ ١٨٣).

رابعاً: الأصول التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة متفقون على أصول أصبحت علماً عليهم وتمثل لب عقائدهم وكل فرقة مخالفة لهم تفاصلهم على واحد أو أكثر من هذه الأصول، التي نستعرضها فيما يلي:

١- أهل السنة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان قال النبي ﷺ عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**». متفق عليه.

فهذه أركان الإيمان وهي الأصول الستة التي بعث بها الرسل أجمعين ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً.

٢- أهل السنة يثبتون الصفات لله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي أخبر الله بها في كتابه واخبر بها رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: ١١). وهو من مذهب السلف من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين، يقول الشوكاني: إن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها دون تحريف ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل وكانوا إذا سألوا عن

الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القيل والقال وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى...»[1].

٣- يؤمنون بعذاب القبر، والنار، والحشر، والميزان، والصراط، والجنة والنار، والحوض، ويحاسب الله الخلائق والشفاعة لنبينا محمدﷺ، أربع شفاعات خاصة:

الشفاعة الأولى: «فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم.

الشفاعة الثانية: يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

الشفاعة الثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب.

الشفاعة الرابعة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها. ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله ـ تعالى ـ من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله أقواماً فيدخلهم الجنة»[2].

٤- يؤمنون بأن العباد فاعلون لأعمالهم حقيقة، والله خالق أفعالهم، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها القدرية (المعتزلة) ويغلو فيها الجبرية حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ولذلك فإن أهل السنة يؤمنون بالقدر بجميع مراتبه:

الأولى: الإيمان بعلم الله القديم الذي هو موصوف به أزلياً، وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

---

(١) التحف في مذاهب السلف للشوكاني (ص٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ١٤٥).

الثاني : كتابته في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم ثم قال له : أكتب ، قال : ما أكتب قال : أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج : ٧٠).

الثالث : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله ـ سبحانه ـ لا يكون في ملكه إلا ما يريد.

الرابع : إيجاد الله لكل المخلوقات وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه ـ سبحانه ـ لا خالق غيره ، ولا رب سواه[١].

٥- ومن أصول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة. ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم[٢].

٦- ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥) كتاب الإيمان نعيم ياسين.

(٢) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق/ جمال بادي (ص٢٩٩).

ومراتبهم، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل[1].

٧- وأهل السنة يعتقدون أن الإيمان أصل وله فروع وأن الإيمان لا يزول إلا بزوال أصله، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر إلا أن يزول أصل الإيمان والذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً وانقياداً له فهذا أصل الإيمان الذي من لم يأت به فليس مؤمن.. فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليلة يخرج الله به من النار من دخلها، ليس كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنة أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شيء واحد إما أن يحصل له كله أو لم يحصل منه شيء[2].

٨- ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر... ويؤمنون «أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، كما دلت الآثار».

٩- ومن أصولهم التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع المكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمة في سورة الكهف وغيرها.

١٠- أهل السنة يمسكون عما شجر بين الصحابة... ويقولون هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون... وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٧٢).

عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرته وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ : «**أنهم خير القرون.. وأنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها عند الله تعالى**»[١].

١١- أهل السنة والجماعة من أصولهم الاتباع لا الابتداع في العقيدة والشريعة ظاهراً وباطناً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، أهل الأثر....

وقد جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ يقول: «.... **أما بعد فأن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» أخرجه مسلم.

يقول ابن حجر في أثناء كلامه على هذا الحديث: «وقد توسع من تأخر من القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي دونوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وإن لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف»[٢].

١٢- ومن أصولهم أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة بحرف وصوت، بخلاف المعتزلة الذين قالوا أن

---

(١) الفتاوى (٣ / ١٥٢).

(٢) فتح الباري (١٣ / ٢٥٩).

القرآن مخلوق، وبخلاف قول الأشاعرة الذين قالوا أن القرآن كلام نفسي بلا حرف ولا صوت[١].

١٣- ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الله لا يراه أحد في الحياة الدنيا، كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ لما ذكر الدجال قال: «**واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت**» وهم متفقون على رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة قال تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾** ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣) وهي أيضاً للناس في عرصات القيامة كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ، وإنما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله - تعالى - وبرؤيته وغير ذلك من المعطلة شرار الخلق والخليقة[٢].

١٤- وأهل السنة والجماعة متفقون على جواز اجتماع العذاب والثواب في حق الشخص الواحد، ولكنهم في الوقت نفسه لا يوجبون العذاب أو الثواب المعين إلا بدليل خاص.

«حيث أن المعين قد يرتفع عنه الوعيد لتوبة صحيحة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة أو غير ذلك من الأسباب التي ضررها يرفع العقوبة عن المذنب... هذا في حق من له ذنب محقق؛ لأنه قد يندرج في العمومين فيستحق الثواب والعقاب»[٣].

١٥- وأهل السنة مجمعون على قتال من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين، وقتال هؤلاء واجب ابتداءً بعد بلوغ دعوة النبي ﷺ. يقول

---

(١)مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠١)، شرح الطحاوية (ص ١٦٨).

(٢)الفتاوى (٣ / ٣٩٠).

(٣)الفتاوى (٣٥ / ٦٦).

في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن يقاتل من خرج عن شريعة الإسلام إن تكلم بالشهادتين... وقتال هؤلاء واجب ابتداء بعد بلوغ دعوة النبي ﷺ إليهم بما يقاتلون عليه، فأما إذا بدأوا المسلمين فيتأكد قتالهم. والممتنعين عن بعض الشرائع، كمانعي الزكاة والخوارج ونحوهم. يجب ابتداء ودفعاً فإذا كان ابتداء، فهو فرض على الكفاية فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فأنه يصير دفعه واجباً، فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس، وهو قتال اضطرار...»[1].

١٦- ويعتقدون أن من الشرك تعليق التمائم والودع أو لبس الحلقة أو الخيط في اليد بغية دفع البلاء والعين. وهناك فرق بين رفع البلاء، ودفعه: أن دفعه إزالته بعد نزوله، ودفعه منعه قبل نزوله. فإذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهي شرك أكبر. أما إذا اعتقد أنها سبب لرفع البلاء فهذا شرك أصغر. لقول الرسول ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[2].

١٧- ويعتقدون أن من شرار الخلق عند الله الذين يبنون على قبور الصالحين. لما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» رواه ابن ماجة في صحيحه وابن خزيمة في الصحيح وقال شيخ الإسلام إسناده جيد.

«يبين الحديث على أن الناس يتفاوتون في الشر وأن بعضهم أشد من بعض، كما أنهم يتفاوتون في الخير، والبناء على القبور وسيلة من وسائل الشرك وهي عبادة لصاحب القبر، والوسيلة لها أحكام المقاصد»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه الذهبي.

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد/ ابن عثيمين (١/ ٤٠٢).

١٨- أهل السنة يعتقدون أن من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ لقوله ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما نزل على محمد ﷺ**»[١].

والكهان جمع كاهن وهم قوم من أحياء العرب يتحاكمون الناس إليهم وتتقبلهم الشياطين تخبرهم عما في السماء تسترق السمع من السماء[٢].

١٩- أهل السنة لا يتوكلون إلا على الله ولا ييأسون من روح الله ولا يأمنون مكره - جل وعلا - حيث أنهم يعتمدون عليه في حصول المطلوب، وزوال مكروهه مع الثقة، وفعل الأسباب المأذون بها. فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله ويكون قادحاً في توكله، ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب، فقد طعن في حكمة الله لأن الله جعل لكل شيء سبباً[٣].

٢٠- ويعتقدون أن من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾(التوبة: ٣١).

٢١- أهل السنة يعتقدون أن من حلف بغير الله فقد أشرك. لما جاء من حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٤].

وأهل السنة والجماعة ينهون عن الحلف الكثير لقوله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾(المائدة: ٨٩).

---

(١)رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٠٦).

(٢)القول المفيد (١ / ٥٣٢).

(٣)القول المفيد (٢ / ٦٦٨).

(٤)رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم وقال شعيب الأرناؤوط حديث صحيح.

ولحديث أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» متفق عليه.

ولا يسبون الدهر ويعتقدون أن من سب الدهر فقد آذى الله ـ جلّ وعلا ـ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أُقلب الليل والنهار**». حديث صحيح. والدهر هو الزمان والوقت وسب الدهر على نوعين:

الأول: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً.

الثاني: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكنه يسبه؛ لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم لا يصل إلى درجة الشرك.

٢٢- وأهل السنة يعتقدون أن أخنع وأوضع اسم عند الله ـ تعالى ـ رجل تسمى بملك الأملاك لما جاء من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك لا مالك إلا الله**» رواه البخاري ومسلم.

فأوضع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك لأنه جعل نفسه في مرتبة عالية. وهذا لا يكون إلا لله. ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع.

٢٣- وأهل السنة يعتقدون أن من استهزأ من ذكر الله أو القرآن الكريم أو النبي ﷺ أو الأنبياء السابقين أو المسلمين كفر وهو من الكافرين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٥).

٢٤- وأهل السنة يعتقدون أن كل اسم معبد لغير الله فهو حرام كعبد النبي وعبد الحسين وعبد الزهرة وغير ذلك..

٢٥- ويعتقدون حرمة التصوير أي الرسم وصنع التماثيل وأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون. لحديث ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**»[1].

٢٦- يعتقدون أن إيمان المؤمن لا يكتمل حتى يكون الله ورسول أحب إليه مما سواهما، وأحب من ولده ووالده والناس أجمعين، لقوله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**» رواه مسلم.

٢٧- ويؤمنون بأن الله أسرى بنبيه ﷺ بالروح والجسد من مكة إلى بيت المقدس حيث صلى إماماً بالأنبياء الأولين ثم عرج به إلى السموات العلى لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ... ﴾(الإسراء: ١).

٢٨- ويؤمنون بأشراط الساعة وعلاماتها وهي الدخان، والمسيح، والدجال، والدابة، ونزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج والمهدي المنتظر، وثلاثة خسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وطلوع الشمس من مغربها، وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن وتطرد الناس إلى محشرهم بالشام[2].

٢٩- ويؤمنون بالجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ على سنة رسول الله ﷺ وأنه ماض إلى يوم القيامة ويؤمنون بأن اقتتال المؤمنين حرام، ويعتقدون بأن قتالهم كفر وسبابهم فسوق.

---

(١) رواه البخاري في الفتح رقم (٢٢٢٥) ومسلم رقم (٢١١٠).

(٢) فتح الباري باب الفتن (ج١٣ ص٥-١٣٠).

٣٠- وأهل السنة يغزون مع أمرائهم براً أو فجاراً، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لاخلاق لهم كما أخبر النبي ﷺ.

٣١- وأهل السنة لايرون الخروج على أئمة المسلمين براً أو فجاراً مالم يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان.

٣٢- وأهل السنة والجماعة يوالون المؤمنين ويتبرأون من الكافرين.

٣٣- وأهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) فمن الأمر بالمعروف؛ الأمر بالأتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة، ومن النهي عن المنكر إقامة الحدود على من خرج وعن شرع الله ـ تعالى ـ.

٣٤- وهم لا يداهنون الحكام ولا ينافقون لهم، وهم أشد الناس حرصاً من فتنتهم.

٣٥- عدم الجلوس مع أهل البدع أو سماع كلامهم أو نقل سبهم إلا لمصلحه راجحة. يقول أسد بن موسى: «وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب». وقال أيوب السختياني: «ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً، إلا ازداد من الله بعداً».

راجع في ذلك:

١- اعتقاد أهل السنة والجماعة.

٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج٣، ج١٢، ج٢٨.

٣- فتح الباري ج١٣.

٤- وجوب لزوم الجماعة جمال بادي.

٥- معالم الانطلاق الكبرى محمد المصري.

٦- شرح العقيدة الطحاوية أبي العز الطحاوي.

٧- الإبانة عن أصول الديانة الأشعري (ص٤٥-٥٦).

خامساً: الخصائص الأخلاقية والسلوكية لأهل السنة والجماعة:

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة خصائص تمتاز بها عن غيرها من العقائد فكذلك لأهل السنة خصائص تمتاز بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، تلك الخصائص التي تميز بها سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان، والتي يجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها ويطرأ نفسه عليها، حتى ينال ما نالوه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١- أهل السنة والجماعة خير الناس للناس. فهم يعلمون ويصلحون القلوب ويدلون على صلاحها في الدنيا والآخرة. بلا عوض وهذا نعت الرسل كلهم ... وهذا سبيل من اتبعه لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلونهم الجنة، فيجاهدون لمنفعة الخلق وصلاحهم وهم يكرهون ذلك لجهلهم[1].

٢- أهل السنة والجماعة ينهلون من الكتاب والسنة في جميع شؤونهم «فكل ما وافق الكتاب والسنة أثبتوه وكل ما خالفهما ردوه على قائله» يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بأمر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. ويعتقدون قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً**

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٢ص٣١٣.

أحسنهم خلقاً» ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها. وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة[١].

٣- وأهل السنة والجماعة هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحفاظ على الجماعة وتأليف القلوب واجتماع الكلمة ونبذ الفرقة والاختلاف. ويعتقدون معنى قوله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»** وشبك بين أصابعه وقوله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[٢].

فهذا الأصل العظيم الذي جعلهم خير أمة أخرجت للناس. لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠).

٤- أهل السنة والجماعة يوالي بعضهم بعضاً ولاءً عاماً مغض النظر عن انتماءاتهم المختلفة فهم يقدمون ما قدمه الله ورسوله، ويؤخرون ما أخره الله ورسوله، ويحبون ما أحبه الله ورسوله ويبغضون ما أبغضه الله ورسوله.. وأن يكون المسلمون يداً واحدة[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ج٣ ص ١٥٨.
(٢) مجموع الفتاوى ج٣ ص١٥٨.
(٣) المصدر السابق ص٤٢٠.

٥- أهل السنة يعملون على تأليف القلوب واجتماع الكلمة ومحبة الخير لكل المسلمين. والعفو والتجاوز عن إساءة المسيء، وخطأ المخطئ ودعوته إلى الصواب والدعاء له بالهداية والرشاد والمغفرة وهذا من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين[١].

٦- وأهل السنة والجماعة يتناظرون في المسائل العلمية والعملية مع بقاء الألفة بينهم وهم يرجعون كل ما تنازعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

٧- أهل السنة والجماعة ليس لهم اسم يعرفون به إلا هذا الاسم، فهذا أبين الفروق بينهم وبين أهل البدع، فأهل السنة ينتمون للسنة والجماعة، وأهل الأهواء والبدع ينتمون إلى أشخاص.

ولهذا فقد ينتسب بعض أهل السنة إلى إمام من أئمتهم، كالإمام أحمد، وهذا أمر ارتضاه السلف بل الأمة جميعها، حتى أهل البدع متفقون على إن الانتساب للإمام أحمد يعني الانتساب للسنة.

ومع ذلك فإن الانتساب للأئمة السنة لا يعني إلا الانتساب إلى السنة نفسها، لأنهم قدوة مهتدون[٢].

التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أو قرنفذي. فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ـ تعالى ـ ولا سنة رسوله ﷺ ولا الآثار المرفوعة عن سلف الأمة لا

---

(١) المصدر السابق ج ٢٨ ص ٥٠.

(٢) مقدمات في أهل الأهواء والبدع، ناصر العقل ص ١٠٩.

شكيلي ولا قرنفذي والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرنفذي: بل أنا مسلم متبع لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ [١].

ويقول أيضاً: الأسماء التي يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو إلى الشيخ القادري والعدوي أو مثل الانتساب إلى القبائل كالقيسي واليماني وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري ولا يجوز أن يمتحن الناس بها.

ولايوالي بهذه الأسماء ولايعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان[٢].

قلت: ومثل ذلك كما في زماننا لا يجوز أن يمتحن المسلم فيقال له: أنت سلفي (المقصود حصر الاسم على فئة أو جماعة معنية وليس المقصود الانتماء إلى السلف والتمسك بمذهبهم فإن هذا واجب، كيف لا؟ والدراسة من أولها إلى آخرها تؤكد على هذا ولكن المقصود أن تتخذ فئة ما هذا الاسم وتقصره على نفسها وتوالي وتعادي في أمور اجتهادية حول منهج السلف والأمر يكون مشروعاً فإذا أدى إلى العصبية الممقوته والحزبية الضيقة مُنِعَ [٣].

٨- لايجمعهم بلد واحد ولا ينتمون لعشيرة واحدة بل هم موجودون في غالب البلاد. وكذلك لا يجمعهم تخصص معين فمنهم المحدثون ومنهم القضاة والزهاد والمجاهدون.

٩- كونهم في الاعتقاد على نمط واحد في كل زمان ومكان.

١٠- محبتهم السنة وموالاتهم لأهل السنة وتعليمهم الناس السنة.

---

(١) الفتاوى ج ٣ ص ٤١٤.
(٢) الفتاوى ج ٣ ص ٤١٦.
(٣) (راجع كتاب الهوى وأثره في الخلاف) لعبدالله الفنجان.

١١ - يلزمون العدل والإنصاف مع غيرهم كأهل الكفر والإلحاد ويجاهدونهم ويبينون ضلالهم وأهل البدع يحمدون ماعندهم من حق وجهاد ودفاع عن مذهب أهل السنة ويردون ماهم عليه من بدعة ويدعوهم إلى تركها بالحكمة والموعظة الحسنة.

انظر فيما سبق من أصول وخصائص أهل السنة في الكتب الآتية :

- معالم الإنطلاقة الكبرى أهل السنة والجماعة. ص٧٩-٨٥ محمد المصري.
- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيميه ص١٥٦-١٦٩ تعليق صالح الفوزان.
- الولاء والبراء في الإسلام للقحطاني.
- شرح أصول أهل السنة والجماعة للآلكائي.
- صفات التابعين أهل الكتاب والسنة. عبدالملك الكليب.
- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم.للعبده.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج٣ ص١٤٤-١٥٩.



الباب الرابع

الضوابط التي تجعل المسلم ملتزماً بمنهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن أهل الأهواء مع بيان منهج النظر والاستدلال عند أهل السنة والجماعة

قال في كتاب «مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم»:

يستطيع الإنسان أن يحكم على نفسه أو على الآخرين تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن الأهواء والعصبية والجهل من خلال ضوابط معينة ونجمل هذه الضوابط في الآتي:

١- التقوى والإخلاص:

فمن اتقى الله وأخلص النية له سبحانه، هداه الله إلى الحق وأنار طريقه إليه وأرشده إلى الهدى والصواب بفضله ورحمته قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ (الحديد: ٢٨) وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) ولا يعني بالتقوى كثرة العبادة فإن الخوارج كانوا أكثر الناس عبادة، ولكنهم كلاب أهل النار؛ بل المقصود: هو ذلك النور الذي يقذفه الله في قلب العبد إذا علم فيه من معاني الخوف والتوكل والرجاء والمحبة لله تعالى. وبهذا النور ينكشف أمام العبد الحق في المسألة بمجرد الدليل، فيهتدي حيث يطرب الناس ويعرف الدليل الصحيح حين يشتبه على الناس وهو فضل الله يؤتيه من يشاء قال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال: ٢٩).

٢- اتباع الكتاب والسنة:

كتاب الله وسنة رسوله هما مصدرا التلقي للمسلم في حياته كلها وهما يشكلان القاعدة الرئيسة التي يقوم عليها التشريع الإسلامي.

والناس في اتباع الكتاب والسنة قسمان:

(١) من اتبع الشرع ـ كتاب الله وسنة رسوله. وفيه الهدى والخير كله قال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنة رسوله**»(١).

(٢) من التزم العقل والتزم بما يؤديه إليه، والعقل إما أن يكون مدفوعاً بالهوى وإما أن يكون مرتكناً على وضع مقدمات لازمة والبناء عليها حسب الترتيب الذي يؤديه المنطق العقلي. من هنا ضل من ضل من أصحاب الفرق التي اتخذت العقل شعاراً، وجعلته إزاراً كالمعتزلة قديماً وبعض من أطلق عليهم المفكرون حديثاً.

(٣) اعتبار المتغيرات الواقعية وهي معرفة الواقع عندما يراد الحكم على قضية من القضايا ومن هذا المنطق ذاته كانت الفتاوى الشرعية تبنى على أمرين هما:

١- الحكم الشرعي الأصلي.

٢- الواقع المراد تطبيق الحكم الشرعي فيه وهو ما يسميه علماء الأصول (تحقيق المناط) وهذا الأمر وهو تحديد الواقع تحديداً دقيقاً يتوجب على من تصدى للفتوى في أي أمر من أمور المسلمين أن يفطن إليه، فإن من أدرك حكم الله ولم يدرك الواقع المراد التطبيق عليه فقد أخطأ الفتوى ومن أدرك حقائق الواقع المعروض عليه ولم يعرف حكم الله ـ سبحانه ـ في أمثالها فقد أخطأ الفتوى ولذلك قال العلماء تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال. وعدم

---

(١) (جامع الأصول ١/٢٧٧) وأخرجه مالك ويشهد له حديث ابن عباس عن الحاكم بسند حسن.

تطبيق الحكم على واقعة الصحيح، هو من طرق أهل الأهواء بل من تحريف الكلم عن مواضعه. يقول الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وتحريف الأدلة عن مواضعها. أن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهماً أن المناطين واحد، وهو من خفيَات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله»[1].

٤- إتباع منهج السلف في النظر والاستدلال:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة وحصر التلقي لأحكام الدين، أصوله، وفروعه، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وأن لا يعارضهما بشيء من المعارضات، لا بمعقول ولا برأي ولا قياس ولا ذوق ولا وجد ولا مكاشفة ولا منام.

ثانياً: الاستدلال بالأحاديث الصحيحة الثابتة: قد اعتنى أئمة السنة والجماعة بحديث رسول الله فقاموا بتدوينه وميزوا بين صحيحه من ضعيفه وأفردوا مصنفات خاصة بالأحاديث الواهية الموضوعة وحذروا الناس منها.

ثالثاً: الاستدلال بحديث الآحاد سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجيته إذا صح عن رسول الله، بخلاف المبتدعة الذين يقولون: إن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة لأنه يفيد الظن.

رابعاً: رد المتشابه إلى المحكم بخلاف أهل البدع.

والمحكم: هو اللفظ الدال على معناه المقصود منه أصلاً، الذي لا يحتاج في فهمه ما يبينه. والمتشابه هو اللفظ الذي لا تدل صيغته على المراد منه، وليس ثمة قرائن تبينه.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١ / ٢٤٩)، أعلام الموقعين ابن القيم ج٣.

فمن المتشابه حسب اصطلاح السلف:

- العام يرد إلى الأحكام باعتبار ما يخصصه.
- المطلق يرد إلى الأحكام باعتبار ما يقيده.
- المجمل يرد إلى الأحكام باعتبار ما يبينه.
- والمنسوخ يرد إلى الأحكام باعتبار الناسخ له.

خامساً : الجمع بين أطراف الأدلة في المسألة وذلك يعني النظر إلى مجموعة الأدلة لتؤدي إلى الحكم الشرعي الصحيح طرف ما، مع النظر عن أدلة أخرى يمكن بالجمع بينهما أن يظهر الحكم المعدل في الأمور.

سادساً : رد الجزئيات إلى الكليات :

فالشريعة لها كليات وقواعد عامة يندرج ضمن هذه الكليات كثير من الفروع فلا بد من رد الفرع إلى أصله وعدم النظر في القواعد الكلية عند اعتبار الحكم الجزئي يؤدي إلى خلل كبير في الفتوى، كما هو معلوم أن الفقه الإسلامي مبني على خمس قواعد كلية وهي :

١ - الأمور بمقاصدها. ٢ - الضرر يزال. ٣ - المشقة تجلب التيسير.

٤ - العادة محكمة. ٥ - اليقين لا يزول بالشك ولكن بيقين مثله.

٦ - الضرورات تبيح المحظورات.

أمثلة تطبيقية على القواعد الكلية وجزئياتها الفرعية التي تنسب إليها:

القاعدة الكلية : الضرر يزال، من فروعها :

١ - الرد بالعيب. ٢ - الحجر بأنواعه. ٣ - أحكام الشفعة.

القاعدة الكلية : اليقين لا يزول بالشك ولكن بيقين مثله : من فروعها :

(١) من تيقن الوضوء وطرأ عليه الشك، فالأصل البناء على الوضوء لأنه متيقن ونقضه مشكوك فيه.

(٢) من شك أثناء الصلاة هل خرج شيء منه، فالأصل عدم الانصراف حتى يتيقن الحدث.

(٣) من شك في عدد الركعات مع التيقن بالعدد الصحيح فإنه يبني على اليقين.

وهناك قواعد أخرى كثيرة أشار إليها من تكلم في القواعد الفقهية ومنها على سبيل المثال:

(١) إذا ضاق الأمر اتسع.

(٢) الضرورة تقدر بقدرها.

(٣) ما جاز بعذر يبطل بزواله.

(٤) الميسور لا يسقط بالمعسور.

(٥) الاضطرار لا يبطل حق الغير.

(٦) الحاجة العامة أو الخاصة تنزل منزلة الضرورة[1].

◇◇◇◇◇

---

(١) انظر كتاب «نظرية الضرورة الشرعية». وهبة الزحيلي. و«كتاب الأشباه والنظائر» للسيوطي لابن نجيم الحنفي. وكذلك ينظر كتاب «القواعد» لابن رجب الحنبلي.



الباب الخامس

منهج أهل السنة والجماعة في العبادة

يبنى منهجهم في هذا الباب على العدل والتوسط وعدم الإفراط أو التفريط كما هو شأنهم في جميع أمورهم (فالإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان التي ألفت الجانب الرباني جانب العبادة والتنسك والتأله من تصوراتها كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده ومن الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الصلاة والإنتاج كالرهبانية والمسيحية.

فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم والليلة كالصلاة أو في السنة كالصوم أو في العمر مرة كالحج، ليظل قلبه موصولاً بالله، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله ـ تعالى ـ[(١)].

العبادة لغة: هي الطاعة وهي التأله والتنسك.

وفي الاصطلاح يأتي بمعنيين:

١- **المعنى العام**: وهو عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود وهذا المعنى العام للعبادة هو الذي أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريف العبادة حيث يقول: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين

---

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام للقرضاوي (ص١٣٧) مؤسسة الرسالة.

والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والقراءة وأمثال ذلك من العبادة...».

ثم يقول: «وكذلك حب الله ورسوله. وخشية الله والإنابة إليه. وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هـي من العبادة»[١].

ويعرف الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ للعبادة بقوله: «هي الدينونة لله وحده في كل شيء من شئون الدنيا والآخرة»[٢].

المعنى الخاص للعبادة: «الأعمال الخاصة التي كلف العبد بالقيام بها تمريناً عملياً له على الخضوع الكامل»[٣].

دوافع العبادة:

(١) دافع الشعور الفطري بالحاجة إليها.

(٢) دافع الرغبة والرهبة والخوف والطمع.

(٣) دافع المحبة للمعبود والتقدير له.

(٤) دافع العبادات والتقاليد الموروثة.

والعبادة كما هو معلوم أمرها توقيفي لا دخل للاجتهاد في تشريعها وسنها؛ لأن العبد قد يحسن وضع قواعد للتعامل مع غيره من الناس ولكنه لا يتصور لأن يحسن العبد وضع منهج للعلاقة مع الله ـ تعالى ـ.

ومن هنا لما حاول بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بعقولهم اختيار منهج عبادي لأنفسهم، عندما تقالوا عبادة رسول الله ﷺ. وعللوا ذلك بمغفرة

---

(١) كتاب العبودية ص ٢٨.
(٢) في ظلال القرآن (٤ : ١٩٠٢).
(٣) انظر: العبادة دراسة منهجية د/ محمد أبو الفتح وهو ما يعبر عنه بالشعائر التعبدية.

ذنوبه ﷺ ، فقال أحدهم: «أما أنا فأصلي الليل ولا أنام أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً» أنكر عليهم ﷺ مقالتهم ومنهجهم وبين المنهج الصحيح في العبادة وقال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

ولما رغب عبد الله بن عمرو بن العاص بكثرة العبادة وإلزام نفسه بمنهج مشدد وقال:

«والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت» منعه ﷺ ، وقال له رسول الله ﷺ : «**فلا تفعل، صم وافطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً**» متفق عليه.

وهذا الذي وقف في الشمس ونذر أن لا يقعد ولا يستظل فأنكر ذلك رسول الله ﷺ ، وقال: «**مروه فليجلس وليستظل**........ الحديث».

وقد ذكر القرآن الكريم إنكار الله ـ عز وجل ـ على من شرع عبادة لنفسه فقال سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الشورى: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (المائدة: ١٠٣).

والتوقيف في جناب العبادة يشمل المنهج والأسلوب والوسيلة[١].

(١) انظر كتاب «المدخل إلى علم الدعوة» البيانوني (ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

وهنا مسألة هامة كثيراً ما اختلفت فيها الأنظار والأفهام، وهي تفاضل العبادات وهي مسألة علمية وعملية ترددت على ألسنة الناس قديماً وحديثاً فكم في الصحابة - رضوان الله عليهم - من طرحها وسأل رسول الله ﷺ عنها بأساليب متعددة، كقولهم أي العمل أفضل؟ وأي العمل أحب إلى الله؟ وهكذا، وكم عرضها رسول ﷺ في قيام الترغيب ببعض الأعمال فقال: أحب العمل إلى الله كذا وكذا....

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**» متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**، قلت ثم أي؟ قال: **بر الوالدين**، قلت ثم أي، قال: **الجهـاد في سبيل الله**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله** قيل: ثم ماذا؟ قال: **الجهاد في سبيل الله** قيل: ثم ماذا؟ قال: **حج مبرور**» متفق عليه.

فمن هذه الأحاديث الشرعية ونظرة العلماء فيها من جهة وبحثهم من طبيعة الأعمال وغايتها ووظائفها من جهة أخرى. اختلفت المسالك في تفضيل الأعمال وتقديم بعضها على بعض على خمسة أقوال:

القول الأول: مسلك الانقطاع عن الدنيا والزهد فيها والورع.

القول الثاني: مسلك تفضيل الأشد والأشق على النفس.

القول الثالث: مسلك تفضيل الواجب على المندوب.

القول الرابع: مسلك تفضيل الأنفع للآخرين فقدم العبادات الاجتماعية على الفردية.

القول الخامس: التفضيل حسب الأحوال والأوقات وقد رجح شيخ الإسلام ابن القيم هذا المسلك فقال: «الصنف الرابع: إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الله تعالى في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته.

فأفضل العبادات في وقت الجهاد، الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً: القيام بحقه والانشغال به عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار، والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به، والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورد والاشتغال بإجابة المؤذن.... وهكذا إلى أن قال: فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه) وهذا هو الحق الذي تحمل عليه ظاهرة التنوع في إجابات الرسول ﷺ لأصحابه في المسألة .. والله أعلم»[١].

منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله:

منهج أهل السنة والجماعة هو منهج الأنبياء الذي بينه القرآن وهاك معالمه:

١- الدعوة خالصة لوجه الله تعالى:

هو أن يقصد بعمله الذي كلف به وجه الله - تعالى - وابتغاء مرضاته ومثوبته إذ كل عمل لا يقصد به وجه الله وتحقيق مرضاته فهو مردود على

(١) راجع كتاب العبادة (ص٦٢-٦٣) للشيخ يوسف القرضاوي.

صاحبه قال تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الأعراف: ٢٩). وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١١٠).

قال ابن كثير: «وهذا ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لوجه الله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ »[١]. وقوله ﷺ : «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه**»[٢].

٢- البلاغ المبين الواضح الذي لا إشكال فيه:

كما جاء في قوله ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية**»[٣].

وقوله ﷺ : «**فليبلغ الشاهد الغائب**»[٤].

فمهمة الدعاة إلى الله، كما كانت مهمة الأنبياء والرسل من قبل هي البلاغ والبيان لهذه الرسالة. قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (النور: ٥٤).

فحامل الرسالة ليس له أن يزيد عليها أو ينقص منها، بل عليه أدائها كاملة في وضوح وبلاغ مبين حتى لو ترتب على ذلك إغضاب المرسل إليه أو سخطه. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٩)[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١٠٨).

(٢) رواه النسائي، قال ابن حجر: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري شرح فتح الباري (٦ /٤٩٦).

(٤) فتح الباري (٣ / ٥٧٤).

(٥) انظر: الدعوة إلى الله الغامدي.

٣- الصدع بالحق وعدم المداهنة بالباطل:

قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤) وهذا المقصد له ثمرة عظيمة وهي أن الداعية إلى الله لا يصده عن دعوته شيء البتة، فسواء استجاب له الناس، وقبلوا دعوته أم أعرضوا عنه، وسواء أكرموه، أو آذوه، لا ينشد رضى أحد من الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (القصص: ٨٧)[1].

٤- التفريق بين المضمون والأسلوب في الدعوة :

وقد أرسل الرسل جميعاً إلى أممهم إلى تحقيق هذا المضمون، وهو عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

تأمل معي أن المهمة التي أرسل الله إليها الرسل قاطبة هي دعوة الناس إلى إفراد الله ـ سبحانه ـ بالعبادة فهذا هو المضمون في الدعوة إلى الله، فهي تحقيق العبودية لله، وأما الأسلوب فهو بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥- الدعوة على بصيرة وعلم:

لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (يوسف: ١٠٨).

قال ابن كثير: «فيقول تعالى لرسوله ﷺ على الثقلين أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا

---

(١) نفس المصدر السابق.

الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه..»[١].

ولذا فإنه لابد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل، وكلمة «على بصيرة» في ثلاثة أمور:

(١) أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه.

(٢) أن يكون على بصيرة بحال المدعو لقول الرسول ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب**» ليعرف حالهم ويستعد لهم.

(٣) أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة: وهذا يفقدها بعض الدعاة تجد عنده من الغيرة والحماس والاندفاع شيئاً كثيراً، لا يستطيع معه أن يمنع نفسه مما يريد أن ينفذه فيدعو الله بغير حكمة...»[٢].

٦- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النمل: ١٢٥). فالحكمة طريقة يسلكها إلى قلوب الناس وعقولهم، وأداته التي يعالج بها فتح هذه القلوب دون كسرها. والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، أو القدرة على فهم الأمور وحسن معالجتها، فإن الحكمة في عمل الداعية أن يختار القول المناسب لمن يخاطبه، والوقت المناسب للخطاب، والمكان المناسب للخطاب والحال المناسب، والأمر في هذا مبني على اجتهاد الداعية وفراسته وخبرته وحسن تدبيره وتحريه الأصلح من غير تكلف

---

(١) ابن كثير (٢ / ٤٢٨).

(٢) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات/ الشيخ محمد العثيمين ص٢٦.

ولا تهاون ولا تفريط. قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

٧- الدعوة بالقدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ (فصلت: ٣٣).

٨- الدعوة بالتذكير بنعم الله ولفت النظر إلى آيات الله الكونية:

جاء في القصص القرآني عن كثير من أنبياء الله ورسله عليهم السلام حيث يأتي في مطلع سورة النمل ذكر عدد من الآيات والدلالات التي منحها الله سبحانه لعباده والتي تكفي برهاناً على وحدانيته من الدلائل على كمال قدرة الله سبحانه وحكمته وعلمه وأنعامه وعظمته وجلاله قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ .. إلى قوله .. وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (النحل: ٣ - ١٦)[١].

٩- الدعوة احتساباً لله تعالى:

دون طلب الأجر من أحد قال تعالى: ﴿ ... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

---

(١) معالم الدعوة في القصص القرآني (١/ ٢٦٨).

١٠- الاستمرار في الدعوة وعدم الانقطاع عنها بشتى الوسائل المشروعة:

حيث أن الدعوة عبادة الله ـ تعالى ـ وهي وظيفة الرسل قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩٩).

١١- الصبر والثبات على الابتلاء والإيقان بنصر الله:

حيث أن التمكين بنصر الله لا يعطى إلا لمن يستحقه ولا يحصل إلا بعد التمحيص والتنقية لذلك كان الابتلاء معبراً للتمكين في الأرض، وتطبيق حكم الله تعالى ولقد فهم لقمان هذه الحقيقة ووصى بها ابنه بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧) سأل رجل الشافعي ـ رحمه الله ـ فقال: «يا أبا عبد الله: أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ فلما صبروا مكّنهم فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة»[1].

١٢- الإعراض من قبل طائفة من الناس وعلى رأسهم علية القوم وكبراؤهم:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ ﴾ (المؤمنين: ٤٤) وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سبأ: ٣٤) وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الزخرف: ٦، ٧).

---

(١) معالم الدعوة في القصص القرآني (١/ ٢٦٨).

١٣- النصر لحزب الله الموحدين والعاقبة لهم والتمكين والهزيمة لأعدائهم.

خطوات الدعوة إلى الله:

الخطوة الأولى : أن نبدأ.

(١) التركيز على الشباب خاصةً في سن الثانوية والجامعة.

(٢) البدء بالقريب قبل البعيد.

(٣) البدء باللين المتواضع الذي يقبل الحق ويتصف بالصفات الحميدة، مثل الانضباط والشجاعة والإقدام والصدق خالي الذهن من الأفكار الغربية.

الخطوة الثانية : الدعوة بالهداية للمدعو.

الخطوة الثالثة : توثيق الصلة بالمدعو.

الخطوة الرابعة : توثيق صلة المدعو بالله ـ تعالى ـ.

الخطوة الخامسة : إيصال شمولية الإسلام ومن ذلك العمل الجماعي وأهميته.

الخطوة السادسة : دعوته أن يكون أحد جنود الدعوة عن طريق العمل الجماعي الجاد.

أركان الدعوة إلى الله تعالى:

(١) الداعي فلا بد أن يتخلق الداعية بأخلاق الكتاب والسنة.

(٢) المدعو.

(٣) موضوع الدعوة وتشمل العقيدة والشريعة والأخلاق.

خصائص الدعوة الإسلامية:

١- الربانية.	٢- الكمال.	٣- الشمولية.

٤- الوضوح. ٥- التوازن. ٦- المرونة.

ملاحظات ووصايا في مجال الدعوة إلى الله تعالى:

١- على الداعية إلى الله أن لا يتعجل قطف الثمر قبل نضجها.

٢- على الداعية التنويع من وسائل الدعوة.

٣- الإكثار من أسلوب الترغيب والترهيب.

٤- الزمن جزء من العلاج.

٥- على الداعية استنفاذ الجهد والبذل لهذه الدعوة.

٦- المتابعة المستمرة للمدعو.

٧- المعاصرة ومعرفة البيئة العامة من أسباب نجاح الدعوة.

٨- الدعوة فن وقيادة وهي تقوم على التخطيط والمتابعة.

وسائل الدعوة إلى الله تعالى وضوابطها:

وسائل الدعوة إلى الله كثيرة، منها الوسائل المعنوية، ومنها الوسائل المادية، ونظراً لكلام بعض الناس بقولهم إن الوسائل الدعوية توقيفية نذكر هنا ضوابط استعمال الوسائل لإبطال ذلك القول وأن الأمر فيه تفصيل.

ضوابط الوسائل الدعوية:

١- النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب والسنة.

٢- النص على تحريم الوسيلة في الكتاب والسنة.

٣- دخول الوسيلة في دائرة المباح.

٤- خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر.

٥- الترخص في استعمال بعض الوسائل المتنوعة في بعض الأحوال.

راجع في ذلك:

١ - الدعوة إلى الله : محمد الغامدي.

٢ - معالم الدعوة في القصص القرآني : عبد الوهاب الديلمي.

٣ - الحكمة والموعظة الحسنة : أحمد المورعي.

٤ - المنهاج النبوي في دعوة الشباب : سلمان العبد.

٥ - تقنين الدعوة مراحلها ومناهجها واستمراريتها : الدكتور محمد السيد الوكيل.

٦ - الابتلاءات : تأليف حمود بن عبد الله لمطر.

٧ - الحرص على هداية الناس : د / فضل إلهي.



الباب السادس

منهج أهل السنة في النقد والرد على المخالف

لا ريب أن الدعاة في أشد الحاجة إلى معرفة المنهج النقدي عند أهل السنة، وذلك لأنهم أمام النقد والتصحيح والمراجعة للسلبيات والانحرافات ثلاثة أصناف:

١- فريق غلبت عليه المسامحة والتنازلات عن التصحيح لقضايا مهمة لا يمكن أن يصلح حال المسلمين إلا بإصلاحها، وأخذ في التنازل عن طلب إصلاحها، وأخذ ينفر ممن يريد أن يصححها، وأصبح همه التنازل حتى عن مميزاته التي كان يتميز بها وكسب أصحاب المخالفات عن طريق التنازلات، وليس بعجيب أن ينفر هذا الفريق من النقد والتجديد والتصحيح.

٢- وفريق مقابل هذا الفريق الأول، لا يتسامح في شيء ويتناسى أن أصحاب رسول الله ﷺ قد وقع بينهم خلاف في بعض مع مخالفهم على صحة الاعتقاد، ولكن هذا الفريق لا يريد أن يقع بين الدعاة تفاوت في مسائل الاجتهاد، وهو بلا شك يطلب المستحيل.

٣- الفريق الثالث وسط بين الفريقين لا يتسامح في تغيير منهج الاعتقاد، ويحمل الناس على الاعتقاد الصحيح عن طريق التربية والتعليم، وهدفه تحقيق صحة الاعتقاد على ما كان عليه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفي الوقت نفسه يقر بوقوع الخلاف في مسائل الاجتهاد، ويحاول تصحيحها بغير شطط، ولا بأس باستمرار الخلاف فيهما مع استمرار طلب الصواب حسب الإمكان ولا يؤثر بقاء مسائل الخلاف على مسيرة الدعوة وفي بناء المجتمع الإسلامي.

أهمية الموضوع تتلخص في الآتي:

١- أهمية بيان منهج أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع لكثرة صدور الأحكام من جهات أخرى دون تحري المنهج السليم في إصدار الأحكام، مما يؤدي إلى الوقوع في أخطاء جسيمة في حق الآخرين.

٢- حاجة المجتمع إلى أن تكون عنده قواعد عامة في النقد والرد على المخالف ليكون الحكم بعدل وعلم، قال ابن تيمية: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ويتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وألا يبقى في كذب، وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم»[١]. أ. هـ

٣- عظم حرمة المؤمن عند الله ـ تعالى ـ.

٤- الآثار المترتبة بسبب الانحراف عن هذا المنهج: من بخس للناس وتقطيع الأواصر، وحدوث الفرقة، ووقوع الغيبة والحسد والبغضاء وغير ذلك من الأدواء الكثيرة والتي لا تخفى على القارئ لكثرة وقوع هذا الأمر.

تعريف النقد

يأتي في اللغة بمعنيين:

الأول: نقد الشيء بمعنى نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئه.

الثاني: إظهار العيب والمثالب وغمط الناس، وبخس أشياءهم فيقال فلان ينقد الناس أي يعيبهم ويغتابهم[٢].

وأهل العلم قسموا النقد إلى قسمين على نحو ما ورد في اللغة فسموا أحدهما النقد البناء الذي يقوم به صاحبه الخطأ ويحاول إصلاحه. وهو واجب

---

(١)منهاج السنة النبوية (٥ / ٨٣).   (٢)(المعجم الوسيط: ٢/ ٩٤٤).

أو مستحب وهو الذي يحق الحق ويبطل الباطل ويهدف إلى الرشد، وسموا الآخر: «النقد الهدام أو الهادم وهو محرم أو مكروه، وهو ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد»[١].

الفرق بين التقويم والرد على المخالف:

ينبغي التفريق بين تقويم الرجال والحكم العام عليهم والرد على المخالف، ففي حالة التقويم يجب الموازنة بين ما لهم وما عليهم فالمقوم كالقاضي الذي يبحث القضية من جميع أطرافها وكثيراً ما يحدث الجور وبخس الحقوق، أو المداهنة والمحاباة إذا لم تستوف الدراسة، واقتصر على جانب واحد منها فقط، وقد قال الرسول ﷺ : «**إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء**»[٢].

أما في حالة الرد على المخالف أو التحذير منه أو نصيحته، فلا تشترط الموازنة ولا يشترط ذكر المحاسن؛ لأن المراد ليس تقويمهم إنما الرد عليهم وبيان بدعتهم وانحرافهم أو خطئهم وقصورهم ومنه قوله ﷺ : «**ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة**»[٣].

وفي كلا الحالتين لابد من الالتزام بالمنهج العلمي في الرد بعيداً عن الشغب وتتبع الأغلوطات وتحميل الناس ما لم يقولوا وتحميل كلامهم ما لا يحتمل[٤].

---

(١) الرد على المخالف للشيخ بكر أبو زيد (٤٧ ـ ٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٣٥٨٢) والترمذي وإسناده حسن.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١).

(٤) انظر: كتاب الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية.

أهمية النقد البناء:

١- يعتبر نوع من النصيحة لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة...**». أخرجه البخاري

٢- يعتبر نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٣- يعتبر نوع من الجرح والتعديل ذلك العلم الذي اختصت به امتنا المسلمة والذي حفظ الله به الدين من التحريف والغلو.

٤- يعتبر نوع من محاسبة النفس لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (الحشر: ١٨).

مظاهر النقد الهدام:

١- الجرح في شخصية من يوجه إليه النقد: كوصف بعض الدعاة بالميوعة أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف الغربية، أو أن بضاعته في العلم مزجاة.

٢- الجرح بلا دليل: وإنما هو للتشفي ويصبح النقد مهنة لذلك المنتقد في نقد المخالفين.

٣- الاعتماد في النقد على حجة واهية: إما لعدم التثبت أو لعدم عدالة الناقل.

٤- تتبع العثرات. وعد الموازنة بين هفوة الداعية وفضائله.

٥- الطعن في النيات والمقاصد: كأن يقال: يظهر السلفية ويبطن الصوفية أو أنه ذو نية خبيثة.

أسباب النقد:

١- الغيرة (بالكسر) وهي مذمومة؛ لأنها قرينة الحسد والمقصود بها هو كلام العلماء بعضهم في بعض. ولذا يقال: «كلام الأقران يطوى ولا يروى»[١].

٢- الحسد: وهو يعمي ويصم ومنه التنافس للحصول على جاه أو مال أو القرب من شيخه أو كسب رضاه، فقد يبغي على إخوانه بسبب ذلك.

٣- الهوى: هو كل ما خالف الحق.. وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد ورغبة النفس في الوقوع في أعراض الآخرين، وهنا يطغي الفساد على القلب، ويقع الإنسان في شراك الهوى، فتنقلب الموازين وتنتكس الأحكام ويصبح الحق باطلاً والباطل حقاً. وفي هذا يحتاج المسلم الرجوع إلى منهج السلف الصالح ليزن الأمور كلها بالميزان والقسط.

٤- التقليد والتعصب: إذ أن ثمرة التقليد إهمال النص الشرعي وتعطيل العقل البشري، حيث أن المقلدَ لا ينظر إلى المسائل إلا بمنظار مقلده.

٥- التعالم.
٦- النفاق وكره الحق.
٧- سوء الظن.
٨- وقوع التفرق في الأمة.
٩- بُعد الأمة عن علمائها.
١٠- ضياع الأوقات وإهدار الجهود.

فقه الصحابة في الرد على المخالف:

١- تمام الإتباع وكمال التأسي برسول الله ﷺ في الرد على المخالف، ودليل ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ: خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم.**

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٧٥).

يقول ابن عمرو: فما غضبت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غضبت بذلك المجلس أني لم أشهده» أخرجه ابن ماجه.

٢- أن الصحابة يجمعون في ردهم على المخالف بين العلم والعمل وبين الرحمة بالخلق والإشفاق عليهم فهذا أبو أمامة الباهلي رأى سبعين رجلاً من الخوارج وقد جزت تلك الرؤوس: فقال: سبحان الله ما يصنع الشيطان ببني آدم!، كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء ثم قال لصاحبه: إنك بأرض هم بها كثير فأعاذك الله منهم ثم بكى قائلاً بكيت رحمة بهم.

٣- وحدة العقيدة.

٤- عمق علم الصحابة.

٥- الشمولية والاعتدال، قال عمر: أهينوهم ولا تظلموهم، فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر، أي: النصارى. قوله أهينوهم: براءة منهم وقوله: لا تظلموهم مقتضى العدل.

منهج أهل السنة والجماعة في أدب الخلاف والحوار

الخلاف: لغة: خلف. والخاء واللام، والفاء، أصول ثلاثة.

أحدهما يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه. الثاني خلاف قدام، الثالث التغيير.

ثم قال اختلف الناس في كذا والناس خلفة: أي مختلفون فمن الباب الأول؛ لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه[١].

وفي لسان العرب: الخلاف والمضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، ومخلفه إلى الشيء عصاه إليه أو قصد بعد ما نهاه عنه[٢].

وفي الاصطلاح: قال الراغب الأصفهاني: والاختلاف والمخالفة: «أن يأخذ كل واحد طريقاً غير الطريق الآخر في حاله أو قوله»[٣].

وقال الجرجاني: أن الخلاف منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل[٤].

قال الآمدي: وأما المخالفة فقد تكون في القول، وقد تكون في الفعل، والترك، فالمخالفة في القول ترك امتثال ما اقتضاه القول، وأما المخالفة في الفعل فهي العدول عن فعل مثل ما فعله غيره مع وجوبه[٥].

والخلاف ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

١ - اختلاف التضاد.

٢ - اختلاف تنوع.

٣ - اختلاف أفهام.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٢ ص٢١٠.

(٢) لسان العرب (٩ / ٩٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن.

(٤) التعريفات للجرجاني ص١٠١.

(٥) الأحكام في أصول الأحكام ١ / ٢٤٦.

(١) **اختلاف التضاد :** هو عبارة عن الآراء والأقوال المتنافية المتنافرة، سواء أكان في أصول الدين أم في فروعه.

والخلاف في أصول الدين يشمل الخلاف مع غير المسلمين كلهم، ومع الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، كالقائلين بخلق القرآن، وتأويل الأسماء والصفات وتقديم العقل على النقل والتشكيك في حجية الآحاد وأصحاب الذوق والكشف. والخلاف في الفروع يشمل خلاف ما هو مجمع عليه كتحريم المسكر وشرعية الحجاب، والطلاق والرياء ويشمل ذلك مخالفة نص ثابت - كإباحة ربا الفضل -.

أنواع المخالفين كثيرون ويمكن تقسمهم حسب الأصناف الآتية :

١- غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين والعلمانيين وغلاة الصوفية والباطنيين.

٢- الفرق الإسلامية: التي خالفت منهج أهل السنة والجماعة؛ كالمعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة، وما تفرع منها، ويدخل في هذا الصنف المدارس الإسلامية الحديثة التي تلتزم بمنهج أهل السنة والجماعة كالمدرسة العقلية الحديثة[١].

٢- **اختلاف التنوع :** واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في القراءات التي اختلف الصحابة رضي الله عنهم حتى زجرهم النبي ﷺ : وقال «**كلاكما محسن**». ومثله اختلاف في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح، وصلاة الخوف وتكبيرات العيد ونحوذلك مما قد شرع جميعه[٢].

---

(١) فقه التعامل مع المخالف ص٢٢ عبد الله الطريقي.

(٢) شرح الطحاوية (٢ / ٧٧٨).

٣- **اختلاف الأفهام** : وهو أن يفهم كل فرد أو طائفة الخطاب بفهم، بشرط أن يكون النص محتملاً لذلك الفهم. كما في إقرار الرسول يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة[١].

فمنهم من فهم الإسراع ومنهم من صلى العصر في الطريق.

يقول الشوكاني: إن الألفاظ قوالب المعاني المستفادة منها فتارة تستفاد من جهة النطق تصريحاً وتارة من جهته تلويحاً[٢].

الحوار أو المحاورة والتحاور:

أصل العبارة من الحوار وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء والتردد فيه ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الإنشقاق: ١٤). أي لن يرجع وذلك في البعث.

ويطلق على النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال. منه حديث «**نعوذ بالله من الحور بعد الكور**»[٣].

ورواه مسلم بلفظ من الحور بعد الكور: قيل معناه من النقصان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها والمحاورة: المجاوبة ومراجعة النطق والكلام والمخاطبة.

قال المناوي: الحوار والمحاورة: المرادة في الكلام، ومنه التحاور[٤].

ومن المصطلحات القريبة من هذا لمعنى الجدال، والمناظرة ونحوها.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠).
(٢) إرشاد الفحول ص ١٧٨.
(٣) رواه الأمام أحمد في المسند وابن ماجه في السنن.
(٤) التعريف ص٢٩٩.

الجدال:

أصله من جدله يجدله: إذا أحكم فتله، وتقول هذه ذرع مجدولة: أي محكمة والجدل بفتح الدال: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها[١].

أما في الاصطلاح: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصد عن إدراك مقدمات البرهان، أو هو رفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة.

المناظرة:

من نظره، كنصره وسمعه ونظر إليه: أي تأمله بعينه.

وتناظرا تقابلا. ونظره وانتظره: تأنى عليه. وناظره مناظرة: جادله مجادلة[٢].

أما في الاصطلاح: هي النظر بالبصيرة من الجانبين بالنسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[٣].

أدب الخلاف والحوار:

١- التجرد في طلب الحق والإخلاص لله ـ تعالى ـ والبعد عن الهوى والرغبة في الشقاق، فالأمور بمقاصدها قال الخطيب البغدادي: «ويخلص النية في جداله بأن يبتغي بها وجه الله... وليكن قصده في نظره إيضاح الحق وتثبته دون المغالبة للخصم»[٤].

٢- عدم الانتصار للنفس ومحاولة الظهور على الخصم بالحق والباطل.

---

(١) القاموس المحيط باب اللام ص١٢٦٠ مادة جدل.

(٢) المصباح المنير ص٦١٢.

(٣) التعريفات للجرجاني ص٢٥٠.

(٤) (الفقيه والمتفقه ٢ / ٥).

٣- الحذر من الجدال المذموم فإنه لا يأتي بخير وهو غالباً يصاب به أولئك القاعدون عن العمل الذين يحبون تغطية قصورهم وعجزهم بكثرة القيل والقال.

٤- الهدوء والسكينة أثناء الرد والمحاورة والبعد عن الألفاظ الغليظة والجرحة والغضب حال الحوار والرد على المخالف.

٥- عدم اتهام النيات والطعن في المقصد.

أسباب الخلاف:

١- عدم وصول الدليل: ومن لم يبلغه لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه، فإن الإحاطة بدليل رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأئمة، فإن رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يقول: «**دخلت أنا وأبو بكر وعمر، خرجت أنا وأبو بكر وعمر**» ثم أنه مع ذلك لما سئل أبو بكر رضي الله عنه عن ميراث الجدة قال: «**ما لك في كتاب الله من شيء وما علمت لك في سنة رسول من شيء، ولكن أسال الناس**» وكذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن يعلم سنة الاستئذان.

٢- نسيان الدليل بعد وصوله: وهذا يرد في الكتاب والسنة كما جاء في الحديث أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: «لا يزيد رجل على صداق أزواج النبي وبناته إلا رددته» فقالت له امرأة يا أمير المؤمنين، لم تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه؟ ثم قرأت: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ (النساء: ٢٠) فرجع عمر إلى قولها وكان حافظاً للآية، ولكن نسيها.

٣- عدم ثبوت الدليل: أما لأن محدثه مجهول عنده، أو متهم سيء الحفظ، ولهذا وجد في كلام غير واحد من الأئمة تعليق بموجب الحديث على صحته، فيقول: قولي في هذه المسألة كذا، وقد روي فيها حديث بكذا، فإن كان صحيحاً فهو قولي.

٤- قد يثبت الدليل ولكن يرى العالم أنه لا يدل على المراد. لكون اللفظ الذي في الحديث غريباً عنده أو لكون معناه في لغته وعرفه غيره غير معناه في لغة النبي ﷺ وهو يحمله على ما يفهمه في لغته.

فإن جهات دلالات الأقوال متسعة جداً، يتفاوت الناس في إدراكها، وفهم وجوه الكلام.

٥- يثبت عنده الدليل ولكن ثم ما يعارضه من دليل أقوى. مثل ما يعارضه العام بالخاص أو المطلق بالمقيد، فإن تعارض دلالات الأقوال، وترجيح بعضها على بعض بحر خضم[١].

٦- التعصب: منشأه ضعف في النفس وجهل في العقل، بينما التمسك بالحق ينشأ من القناعة بالرأي ووضوح الدليل. وطريق المتعصب هو الصد عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه.

يقول الشوكاني: «التعصب هو: بأن تجعل ما يصدر عنه (الإمام المتبع) من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد، فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعاً لا مشرعاً ومكِلفاً لا مكَلفاً»[٢].

٧- الجهل وهو من أسباب التفرق الذي حذرنا الله منه عندما ذكر صفة أهل الكتاب وأن من أسباب العداوة بينهم وهو نسيان العلم ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (المائدة: ١٤)، والجهل قد يكون لنقص العلم وقد يكون لعدم لوجود العلم النافع وكلاهما حذر الله ورسوله منهما. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) انظر كتاب رفع الملام عند الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام.

(٢) أدب الطلب للشوكاني.

«والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (المائدة: ١٤)»[١].

٨- إتباع الهوى: «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهوائهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم، ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم أو طلباً للرئاسة»[٢].

منهجية الحوار والخلاف:

١- لابد أن يكون عالماً بالمسألة التي يريد أن يحاور فيها، قادراً على النظر والموازنة، والترجيح بين الأدلة المختلفة، قادراً على الاستنباط والجمع بين أطراف الأدلة قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الحج: ٣).

والعلم المقصود يقتضي أمرين:

١- العلم بشرع الله المطهر كتاباً وسنة ويقتضي العلم بمنهج السلف قولاً واعتقاداً وعملاً.

٢- العلم بالواقع الذي يراد تطبيق شرع الله عليه، سواء كان ذلك الواقع سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً...

٢- لكي يسير الحوار على الوجهة الصحيحة لابد من حسن الفهم لحجج الطرف الآخر وأدلته وأقواله ففي كثير من الأحيان يتحاور الطرفان، ويطول

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٧).

(٢) الاعتصام (٢ / ١٧٦).

الحوار وتتشعب المسائل ويستمر الخلاف ولا يصلان إلى نتيجة، والسبب أن كل واحد منهما لم يفهم مراد الآخر.

٣- لابد أن تكون أصول مرجعية معتمدة متفق عليها يرجع إليها لمعرفة الحق من الباطل والراجح من المرجوح والمحور الشرعي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩). قال ابن تيمية: «وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزَّل وإذا ردوا لعقولهم فلكل منهم له عقل»[١].

٤- لعدم تشعب الحوار ويطول في أمور فرعية يعيده عن موضوع المحاورة قال الربيع بن سلمان ـ رحمه الله ـ: «كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول، نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد»[٢].

٥- المسائل الشرعية علمية كانت أو دعوية منها ما هو قطعي لا يجوز فيها إلا رأي واحد ومنها ما هو اجتهادي تختلف فيه الأنظار والاجتهادات قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه».

نماذج تطبيقية على أدب الخلاف والحوار بين سلف هذه الأمة لتكون صورة ناصعة يقتدى بها:

المثال الأول: ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي:

الإمام ربيعة الرأي من الفقهاء والأثبات، نقم عليه بعضهم توسعه في الرأي، ولكن ذلك لا يقدح في فضله وعلمه.

قال الليث بن سعد في رسالته للإمام مالك: «... فكان من خلاف ربيعة لبعض ما مضى ما عرفت وحضرت، وسمعت قولك فيه وقول ذوي الرأي من

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٦٣).
(٢) تذكرة السامع ص٤٠.

أهل المدينة يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمرو وكثير ممن هو أسن من، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه، وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك، فكنتما لي موافقين فيما أنكرت تكرهان منه ما أكره. ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل، ولسان بليغ وفضل مستبين، وطريقة حسنة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمة الله عليه وغفر له وجزاه بأحسن من عمله»[1].

المثال الثاني: عبد الله بن أحمد بن محمد المالكي، أبو ذر الهروي (ت: ٤٣٤ هـ)

يعد أبو ذر الهروي من حفاظ الحديث الأثبات، وهو من أشهر رواة صحيح البخاري، رواه عن الثلاثة: المستملي والحموي والكشميهني، قال عنه الخطيب البغدادي: «كان ثقة ضابطاً، ديِّناً فاضلاً وهو من تلاميذ أبي بكر الباقلاني، وأخذ عنه المذهب الأشعري، ونقله إلى الحرم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن أبي ذر الهروي قال: «أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به، وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني على الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزي وأبي قاسم سعد الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه، وهو من يرجح طريقة الصبغي والثقفي عن طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث. وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة. ويدلهم على أصلها ويرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي، فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي ـ وهو

(١) المعرفة والتاريخ (١ / ٦٩٠).

جهمي ـ صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.

ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء وعقلاء احتاجوا على طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك: منهم يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها».

ثم قال ابن تيمية كلاماً عاماً مفيداً في هذا الباب، وهو قوله: «وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النساء: ٥٩)، ولا ريب أن من اجتهد في طريق الحق والدين من جهة الرسول واخطأ في بعض ذلك فالله يغفر خطأه، تحقيقاً للدعاة استجابة الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦). ومن اتبع ظنه وهواه فاخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه من أصحابه فقل من يسلم من ذلك المتأخرين لكثرة الاشتباه والاضطراب...».

قال ابن تيمية بعد ذكره لبعض أئمة المتكلمين: «.. والواحد من هؤلاء لم يعظمه من يعظمه من المسلمين إلا لما قام به من دين الإسلام، الذي كان فيه موافقاً لما جاء به محمد فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصرة الإسلام والرد على طوائف المخالفين لما جاء به الرسول، فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح الموافق لما جاء به الرسول والمظهر الباطل من خالف الرسول وما من أحد من هؤلاء، ومن هو أفضل منهم، إلا وله غلط في مواضع»[1].

المثال الثالث: علي بن أحمد الأندلسي، أبو محمد بن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)

أبو محمد بن حزم إمام مشهور وفقيه ظاهري بارع وحافظ متقن، يتميز بتعظيمه للنصوص الشرعية، ومع هذا فله تخليط بيِّن في بعض مسائل الاعتقاد فهو معتزلي جلد وقد حمده الأئمة على فضله وذموه على بدعته وخطئه.

قال ابن تيمية في أبى محمد بن حزم: «وكذلك أبو محمد بن حزم فيما صنفه من الملل والنحل إنما يستحمد بموافقة السنة والحديث، مثل ما ذكره في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، بخلاف ما انفرد به من قوله في التفضيل بين الصحابة وكذلك ما ذكر فيه من الصفات فإنه يستحمد فيه موافقة أهل السنة والحديث، ولكونه يثبت الأحاديث الصحيحة ويعظم السلف وأئمة الحديث ويقول: إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن الكريم وغيرها، ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن الكريم والصفات، وإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١٠١ ـ ١٠٣).

ولكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك؛ فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفى المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموناً إلى ما في كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني ودعوى متابعة الظواهر. وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر.

ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال: والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء» (ج ٤ ص ١٨).

وفي موضع آخر ذكر ابن تيمية رأي ابن حزم في تفضيل زوجات النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة وبين شذوذه، ثم قال: «وبالجملة فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف، وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره، وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة والشاذة ما يعجب منه مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة».

وقال الذهبي في ترجمة أبي بكر بن العربي مشيراً إلى كلامه في أبي محمد بن حزم: «.. ولم أنقم على القاضي ـ رحمه الله ـ إلا إقذاعه في ذم ابن حزم واستجهاله له. وابن حزم أوسع دائرة من أبي بكر في العلوم، وأحفظ بكثير، وأصاب في أشياء وأجاد، وزلق في مضايق كغيره من الأئمة والإنصاف عزيز».

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة ابن حزم: «.. وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من

ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه الاعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم فتأملت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع والأصول.

وصنف في ذلك كتباً كثيرة ـ في الظاهرية ـ وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث أنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقادا واستفادة وأخذاً ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين فتارة يطربون، ومرة يعجبون ومن تفرده يهزؤون، وفي الجملة فالكامل عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ. وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير ومقاصده جميلة ومصنفاته مفيدة، وقد زهد الرئاسة، ولزم مكباً على العلم فلا نغلوا فيه ولا نجفوا عنه وقد أثنى عليه قبلنا الكبار»[1].

والخلاصة:

والخلاصة بعد سرد هٰذه الأمثلة المعززة بأحكام الأئمة والعلماء يتبين لنا مما تقرر سابقاً هو: أن الرجل المشهود له بالخير والفضل أو العلم إذا زلت به القدم لا يطرح مطلقا أو تسقط منزلته بالكلية. بل يرد عليه الخطأ فقط وتبقى منزلته محفوظة، فالخطأ اليسير يغتفر في جنب الصواب الكثير.

ولو أنا قلنا بهجر كلام العلماء الذين وقعوا خطأ في البدعة مطلقاً، فماذا تفعل بالبيهقي والأشعري ـ صاحب السنن الكبرى ـ وأبو عبد الله الحاكم المتهم

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٥ ـ ١٨٦).

بالتشيع ـ صاحب المستدرك ـ وابن عساكر الأشعري ـ صاحب تاريخ دمشق ـ ..؟!
وماذا بعد نفعل بابن الجوزي والنووي وابن حجر العسقلاني ونحوهم من العلماء الكبار الذين حفظ عنهم كثير وتناقل الناس مصنفاتهم جيلاً بعد جيل..؟! فضلاً عن بعض العلماء الكبار الأوائل نقله العلم، كعبد الرزاق بن همام والأعمش، ونحوهما.

والذي لا شك فيه إن تطبيق منهج الموازنة كما تقدم في الأمثلة المذكورة آنفاً هو الذي يحفظ للعلماء أقدارهم، ويجعلنا نضع الأمور مواضعها. وهذا منهج أئمة عدول، وثقات أثبات لا مطعن فيهم، يتجلى في كلامهم إنصاف أولئك الرجال الذين صار الناس فيهم بين غلو وجفاء.

فإن قيل: هذا رأي ابن عبد البر، أو الليث بن سعد، أو ابن تيمية، أو ابن القيم، أو الذهبي. قلنا: فليأت المعترض بما يخالف ذلك أو يشوش عليه من قواعد الشرع أو أقوال الأئمة والعلماء المرضيين[1].!

◇◆◇◆◇◆◇◆◇

(١) منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم ص ١٣٣.

الباب السابع

تعريف الإيمان عند كل من أهل السنة والجماعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة

أولاً: تعريف الإيمان عند أهل السنة:

ذهب أهل السنة إلى أن الإيمان الشرعي هو اعتقاد وقول وعمل.

قال البغوي: اتفق الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: «إن الإيمان قول وعمل وعقيدة»[١].

وروى الألكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[٢].

ولا فرق بين قولهم: أن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح. ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد في القلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد «قول القلب وقول اللسان» وأما العمل فقد لا يفهم منه النيَة «عمل القلب» فزاد ذلك[٣].

---

(١) شرح السنة (١ / ٣٨).

(٢) الفتح (١ / ٤٧).

(٣) الإيمان لابن تيمية (١٦٣).

ثانياً: تعريف الإيمان عند الخوارج والمعتزلة:

يتفق الخوارج والمعتزلة على أن الإيمان الشرعي يشمل جميع الواجبات من الأقوال والأفعال والاعتقادات، إلا أنهم يقولون أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. وهذا الأصل الذي جعل الخوارج والمعتزلة يقولون بسقوط الإيمان جملة إذا ذهب أحد أجزائه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول القائل: أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله. فهذا ممنوع وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبقى منه شيء.

ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث. قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار ونصوص الرسول ﷺ تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون على أنه يزيد وينقص»[١].

ثالثاً: تعريف الإيمان عند المرجئة:

ذهبت المرجئة إلى أن الإيمان معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض، إما أن يقوم كله وإما أن يذهب كله، فإذا ذهب بعضه ذهب كله فلم يبق منه شيء، قال ابن تيمية: قالت المرجئة على اختلاف فرقهم لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر. ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه[٢].

(١) الإيمان ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) الإيمان ص ٢٠٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية المرجئة ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : الذين يقولون أن الإيمان مجرد ما في القلب. ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر المرجئة ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي...

الصنف الثاني : هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

الصنف الثالث : تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو القول المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم[١].

فهم أي مرجئة الفقهاء : وإن أخرجوا أعمال الجوارح عن مسمى الإيمان إلا أنهم وافقوا بقية أهل السنة والجماعة على اعتبار قيمة العمل بالجوارح وعلى اعتبار ارتباط ظاهر المرء بباطنه.

وعلى جواز دخول الشخص الواحد إلى النار بسيئات يعذب بها ثم خروجه منها بالشفاعة ودخوله الجنة مع الموحدين. فالخلاف بين هذا الصنف وبين بقية أهل السنة خلاف في الاسم دون الحكم[٢].

رابعاً: تعريف الإيمان عند الأشاعرة:

هو تصديق بالله وهو العلم، والتصديق يوجد بالقلب وأن قول اللسان ليست جزءاً من الإيمان داخلاً فيه ولا شرطاً خارجاً عنه وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على المرء، فمن كان مؤمناً بقلبه ولم ينطق الشهادة بلسانه دون عذر فهو ناج عند الله، وإن أجريت عليه أحكام الكافرين في الدنيا. أما الزيادة والنقصان بحسب الخلاف في تعريف الإيمان فمن أدخل أعمال الجوارح

---

(١) الإيمان ص ١٨٤.

(٢) حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة محمد المصري ص٢٢٥.

في الإيمان أثبت الزيادة والنقصان فيه وهذا مذهب السلف ومن لم يدخلها، لم يجوز الزيادة والنقصان فيه، ولذلك اشتهر عند الأشاعرة والماتريدية القول بعدم الزيادة والنقصان، وأجاز بعضهم ذلك باعتبارات معَينة[1].

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية محمد الوهيبي (ج ١ / ص ١٨٠).

الباب الثامن

ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة

مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين من يقول لا نكفر من أهل القبلة أحداً وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى توفر شروط وانتفاء موانع، ومذهبهم في ذلك أنهم يطلقون التكفير على العموم مثل قولهم من استحل ما هو معلوم من الدين بالضرورة كفر ومن قال بخلق القرآن كفر أو أن الله لا يرى في الآخرة كفر ولكن تحقيق التكفير على المعين لا بد له من توفر شروط وانتفاء موانع، فلا يكون جاهلاً ولا متأولاً ولا مكرهاً[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إني من أعظم الناس نهياً أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى»[2].

القاعدة الأولى:

الكفر العام لا يستلزم دائماً كفر المعين؛ يفرق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعين ففي الأول يطلق القول بتكفير صاحبه ـ الذي تلبس بالكفر ـ فيقال من قال كذا أو فعل كذا فهو كافر ولكن الشخص المعين الذي قاله أو فعله لا يحكم بكفره إطلاقاً حتى تجتمع فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. يقول ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحد من المسلمين، وإن

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية (ج١ ص ٢٠٩) محمد الوهيبي.

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٢٢٩).

أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»[1].

ثم يقول: «أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[2].

«وبهذا يتضح لنا أن التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر، فهذا يقف على الدليل، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه.

فالكفر من الوعيد الذي نطلق الحكم به، ولكن لا نحكم للمعين بدخوله في ذلك المطلق حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له»[3].

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان الرسول قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**» مع العلم أنه شارب خمر قد جاء في حقه لعن عام.

ومن ذلك حديث حاطب بن أبي بلتعة لما ظاهر كفار قريش على النبي ﷺ وفعل فعل الكفر فقد تشفعت له حسنة بدر.

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٦٦.

(٢) مجموع الفتاوى ج٢٣ص٣٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٤).

ومنها حديث الرجل الذي قال لأبنائه لئن مت فحرقوني..... في البخاري.

وحديث واقد الليثي في الترمذي وابن أبي عاصم في السنة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، قال: فمررنا بشجرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فلما قلنا للنبي ﷺ ذلك قال: الله أكبر! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم».

والأدلة على هذه القاعدة كثيرة، وإجماع السلف وأهل العلم على صحة هذه القاعدة: أن التكفير العام لا يستلزم تكفير المعين، وهذا يعني: أنه أحياناً يستلزم عندما تنتفي عن المعين موانع التكفير وتتوفر فيه شروطه ولوازمه.

موانع تكفير المعين:

١- عدم بلوغ الخطاب الشرعي: لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه لم يعذبه رأساً ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية»[١].

٢- التأويل أو الفهم الخطأ للمراد من النص: قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ (الأحزاب: ٥) وقال الراغب في المفردات: الخطأ: العدول عن الجهة ومنها: «أن يريد ما يحسن فعله؛ ولكن يقع منه ما

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٩٣).

يريد، فيقال: أخطأ فهو مخطئ وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل وهذا المعنى بقوله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»(١).

٣- حداثة العهد بالكفر: لحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح قال: فمررنا بشجرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط «اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين يعلقون بها سلاحهم» كما لهم ذات أنواط قال: «**الله اكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم**»(٢).

٤- العيش في منطقة نائية يتعذر وصول العلم إليها: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ (القصص: ٥٩) قال الإمام الذهبي رحمه الله: «فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رءوف بهم».

٥- الخطأ غير المقصود والنسيان: والخطأ ضد الصواب قال الأموي: المخطيء: من أراد الصواب فصار إلى غيره. وقال ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**» قال: «**من اجتهد فاخطأ فله أجر**» والخطأ وهو ما ليس فيه قصد ... كما رمى شخصاً ظنه صيداً أو حربياً فإذا هو مسلم.. والخطأ كل ما يصدر عن المكلف من قول أو فعل خال عن إرادته وغير مقترن بقصد منه.

٦- الإكراه: عرفه علاء الدين البخاري فقال: «حمل الغير على أمر يمنع عنه بتخويف بقدر الحامل على إيقاعه ويصير الغير خائفاً فائت الرضا بالمباشرة،

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (١ / ١٢٣).

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وقال الألباني اسناده حسن.

ومحل الإكراه أفعال الجوارح من الأقوال والأفعال ولا إكراه في أفعال القلوب كالحب والبغض فهذا لا مجال للإكراه فيها».

٧- التقليد: هو قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله: فالمقلد جاهلاً لا يفهم الدليل أو الحجة.

٨- الحسنات: لما جاء في حديث حاطب بن أبي بلتعة لما كتب كتاباً لقريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم... فقال رسول الله ﷺ **«وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[1].

لوازم تكفير المعين وشروطه:

١- انتفاء موانع التكفير: يبين ذلك أن أهل السنة يطلقون التكفير بالعموم، وكذلك الوعيد ولكن الحكم على المعين بالكفر والوعيد لا بد فيه من توفر الشروط، وانتفاء الموانع. فإذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع، وقامت الحجة على المعين، وأصر على عمل الكفر فإنه يحكم بكفره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إذا عرف هذا فتكفير (المعين)... لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين»[2].

٢- التبين من حقيقة كفر ذلك المعين: لأن الكفر حكم شرعي، والكافر من كفره الله ورسوله ﷺ فليس الكفر حقاً لأحد من الناس، بل هو حق الله تعالى. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والكفر حكم شرعي متلقى من صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطئاً

(١) صحيح البخاري (١ / ٤٢٢) نواقض الإيمان الاعتقادية محمد الوهيبي.

(٢) الفتاوى (١٢ / ٥٠٠).

في العقل، يكون كفراً في الشرع كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته»[١].

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي»[٢].

إذاً؛ إذا تبين الحكم الشرعي وزالت الشبهة وتيقنا من إصراره فلابد من تكفيره وهذا أمر معروف ومجمع عليه لدى علماء الأمة قاطبة[٣].

٣- قيام الحجة وأن من بلغته الدعوة فقد قامت عليه الحجة كما قال ابن تيمية: حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين، حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث الله بها رسله.. ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥) وإذا أردنا أن نتحدث عن قيام الحجة على المعين فإنا نقول أن الأصل أن لا تكفير للمعين إلا إذا كانت الحجة الرسالية قد بلغته لكن اشتراط بلوغ الحجة الرسالية قد يراد به مجرد البلوغ العام الذي تقوم به الحجة بأصل الدين الذي هو عبادة الله والتقرب إليه وحده والالتزام بشريعته إجمالاً.

وقد يراد ببلوغ الحجة ما يتعلق بتفاصيل الحجة الرسالية والالتزام التفصيلي بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وذلك لا يكفي في قيام الحجة به مجرد البلوغ العام بل لابد فيه من بلوغ تفصيلي أيضاً.

ومن هنا نعلم بأن الجهل عذراً مطلقاً في أصل الدين وفي غيره خطأ، كما أن القول بأن الجهل ليس عذراً مطلقاً خطأ أيضاً.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٤٢١). (٢) منهاج السنة (٥ / ٢٤٤).
(٣) نواقض الإيمان الاعتقادية/ محمد الوهيبي (١/٢١٥)، نواقض الإيمان القولية عبد العزيز اللطيف ص ٣٥ .

بل لابد من التفريق بين ما كانت المخالفة فيه بمناقضة أصل الدين، وما كانت المخالفة فيه متعلقة بالالتزام التفصيلي[١].

كما ينبغي أن يفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٤).

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قول الرسول ﷺ في الخوارج: أينما لقيتموهم فاقتلوهم مع كونهم في عصر يفهموها[٢].

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق واخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان...»[٣].

إذاً لابد من قيام حجة صحيحة تنفي عمن تقام عليه أي شبهة أو تأويل. وبذلك ندرك عظم المسئولية الملقاة على عاتق الدعاة ممن يحسن إقامة الحجة[٤].

---

(١) ضوابط التكفير القرني ص ٢٢٥.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ الفتاوى (٣ /١٢) نقلاً من نواقض الإيمان ص ٧٢.

(٣) مجموع الفتوى (٢٣ / ٣٤٦).

(٤) نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ٢٤٥).

القاعدة الثانية:

إنجاز الوعد وإرجاء الوعيد : وهذه القاعدة خاصة بالذنوب التي هي دون الكفر والشرك لأن الوعيد على الشرك ناجز لا محالة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨) حيث اقتضت حكمة الله ورحمته أن ينجز لعبده من أجر وثواب على حسناته وأعماله الصالحة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة: ١١١) وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأحقاف: ١٦). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الزمر: ٧٤).

القاعدة الثالثة:

الرضا بالكفر كفر : من رضي بالكفر، وحسنه واظهر الموافقة، وأعانهم بالنصرة من غير إكراه، ورضيه أن يكون أو يود فهو كافر ظاهراً وباطناً، وإن ادعى أنه من المسلمين والعلة في كفره أنه رضي ما لا يرضى الله، وهذا عين الكفر البواح قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (النساء: ١٤٠) وصور الاستهزاء كثيرة جداً ويجمعها أنها تدل على الاستخفاف بالدين، وعدم الرضى عنه أو عن شيء منه، وقد يكون كلامياً وقد يكون فعلياً.

وهذه المسالة تتعلق بالإيمان وعلاقته بالظاهر والباطن، لكن مع توفر شروط وانتفاء موانع. فلا يجعلون الحكم على مجرد العمل الظاهر دون اعتبار بقصد صاحبه، كما لا يربطون الأحكام بالنية والقصد الباطن الذي لا سبيل للوقوف عليه[١].

القاعدة الرابعة:

اعتبار الظاهر في الكفر والإيمان: وهذه من المسائل العظيمة في مذهب أهل السنة في الحكم على الناس فلا تكون أحكامهم يملكون عليها بينات يقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ مبيناً أهمية هذا الأصل وخطورة إهماله: «أن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم...»[٢].

واستند أهل السنة في ذلك الأصل إلى أدلة كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (النساء: ٩٤) قال الشوكاني رحمه الله: «المراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لست مؤمناً فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل هم بمعنى الإسلام والمرد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه ويقولوا إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية»[٣].

---

(١) ضوابط التكفير القرني ص ٢١٠.

(٢) الموافقات للشاطبي (٢ / ٢٧١).

(٣) فتح القدير (١/ ٥٠١).

وقوله في قصة أسامة رضي الله عنه المشهورة قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ. «**أقال: لا إله إلا الله وقتلته** قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[١].

قال النووي ـ رحمه الله ـ وقوله: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ ومعناه إنك إنما كلفت بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان وأما القلب فليس له طريق إلى معرفته». ولكن ثم هناك مسألة بين الحكم بإسلام المعين والحكم بكفره فالحكم بإسلامه يكفي فيه الإقرار والظاهر وهو إسلام حكمي قد يكون معه المعين منافقاً في الباطن، أما الكفر فليس حكماً على الظاهر فقط وإنما هو حكم على الظاهر والباطن بحيث لا يصح أن نحكم على معين بالكفر ولذلك لابد من النظر للعمل الذي عمله المعين هل هو أمر لا يحتمل غير الكفر؟ أم أمر يحتمل الكفر وعدمه؟ أم أنه يحتمل أن يكون معذوراً بجهل أو تأويل[٢].

القاعدة الخامسة:

قول الكفر كفر وفعل الكفر كفر: إذا كان الإيمان قولاً وعملاً، فكذا الكفر قولاً وعملاً، فهو ـ أي الكفر ـ قول الكفر (التكذيب) كما أنه أعمال قلبية كالبغض وهو قول اللسان كما أنه أعمال ظاهرة بالجوارح تنقل عن الملة. ومما يدل على أن قول اللسان كفر قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٦).

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٦).

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ٢٠٨).

قال ابن تيمية: فقد أخبر تعالى أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم أننا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له. بل كنا نخوض ونلعب وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا ممن شرح الله صدره بهذا الكلام[1]. ومما يدل على أن الكفر قد يكون عملاً قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ...﴾ (النحل: ١٠٦).

القاعدة السادسة:

الكفر العملي الأصغر لا يقال به إلا بقرينة شرعية تدل عليه: حيث ذهب كثير من أهل السنة إلى إطلاق لفظ (الكفر العملي) على المعاصي التي أطلق عليها الشارع كفراً، والتي تقع على فروع الكفر وشعبه التي لا تخرج بصاحبها عن الملة وذلك تمييزاً له عن الكفر الذي يقع على أصل الإيمان فينقضه فيخرج بصاحبه عن الملة والذي أطلقوا عليه (الكفر الاعتقادي) حيث يلتزم فساد الاعتقاد وسقوطه. يقول ابن القيم: «فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي».

يقول الحافظ الحكمي: (إن الكفر كفران كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو أحدهما. وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي، الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله ولا يستلزم ذلك[2]. ولقد أدى إطلاق لفظ الكفر العملي على بعض المعاصي التي سماها الشارع كفراً. ويقول أيضاً (الحكمي): ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه. لأنه ليس كل فسق يكون كفراً ولا كل ما سمى كفراً وظلماً يكون مخرجاً من الملة

(١) مجموع الفتوى (٧ / ٢٢٠). (٢) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة ص ٩٤.

حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، ولذلك لأن كل من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين: أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية وأصغر ينقص الإيمان وينافي في كماله ولا يخرج صاحبه منه[١].

وقد وردت بعض الأحاديث أوهم ظاهرها خلاف هذه القاعدة منها أحاديث تسمي بعض المعاصي كفراً وشركاً، ومنها أحاديث يتبرأ النبي ﷺ ممن يرتكب بعض المعاصي ومنها أحاديث تنفي الإيمان عمن ارتكب بعض المعاصي ومن ذلك:

١ - قوله ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[٢].

٢ - قوله ﷺ: **«اثنان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت»**[٣].

٣ - وقوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**[٤].

٤ - وقوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**[٥].

٥ - وقوله ﷺ: **«من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»**[٦].

٦ - وقوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[٧].

القاعدة السابعة:

من حلل حراماً أو حرم حلالاً فقد كفر: لأن التحليل والتحريم من أخص خصائص الله؛ لأن من خصائص الألوهية الأمر والحكم والتشريع قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (يوسف: ٤٠) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ (الكهف: ٢٦). فإذا تقرر وجوب إفراد الله ـ تعالى ـ بالحكم

(١) معارج القبول (٢ / ٣٤٣).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وبن ماجة عن أنس.

والتشريع وحده وليس لأحد أن يشرع شيئاً لقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١) وسمى الله ـ تعالى ـ الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٣٧) وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ (التوبة: ٣١) فهؤلاء الأحبار والرهبان الذين شرعوا غير تشريع الله ـ تعالى ـ كفار لا شك في كفرهم. لأنهم نازعوا الله تعالى في ربوبيته وبدلوا دين الله ـ تعالى ـ وشرعه وإذا كانت متابعة أحكام المشرعين تعتبر شركاً وقد حكم الله ـ تعالى ـ على هؤلاء الاتباع بالشرك فقال: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢١)[١].

القاعدة الثامنة:

الإسلام الصريح لا ينقضه إلا الكفر الصريح: وبيان ذلك أن الشارع قد جعل الإيمان والإسلام مدخلاً وباباً يدخل منه وهو الإقرار والتصديق بالشهادتين فمن ولج على الإسلام من هذا الباب فانه لا يخرج منه إلا أن يصدر منه قول أو عمل أو فعل يناقض إقراره بالشهادتين وخرج من دين الله ـ سبحانه ـ فإن كان قوله أو فعله مطابقاً لحقيقة نيته واعتقاده كان كافراً في الدنيا والآخرة.

القاعدة التاسعة:

العبرة بالخواتيم: لما جاء في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالخواتيم**».

وتحت هذه القاعدة تتعلق بعض المسائل وهي:

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية عبدالعزيز بن محمد عبد اللطيف ص ٢٩٥.

١ - هل يشهد لمعين بالجنة؟ : إنا لا نشهد لأحد معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة إلا ما أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة ﷺ، لكن نرجو للمحسنين.

٢- هل يشهد للمسلم المعين من أهل الكبائر بالنار؟ : إنا لا نشهد لأحد معين أنه من أهل النار إلا من أخبرنا الصادق ﷺ، وإن كنا نقول أنه لابد من أهل الكبائر من شاء الله أدخله النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف عند الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار لأن الحقيقة باطنة[١].

٣- هل يجوز على معين أن يشهد على نفسه بالإيمان؟

٤- هل نشهد للكافر المعين بالنار؟

٥- هل الردة تحبط العمل أم يشترط الموافاة على الكفر؟

القاعدة العاشرة:

من كفر مسلماً فقد كفر لكن لابد من التفصيل الآتي : التكفير من مستحل مكذب كفراً. قال الإمام ابن قدامة : «ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه وظهر حكمه بين المسلمين وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير والزنا وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كفر لما ذكرنا في تارك الصلاة، وإن استحل قتل المعصومين واخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك...»[٢].

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ: «الإجماع على عدم تكفير فاعل الكبائر إذا لم يستحل»[٣]. بل أنه يكفر إن استحل فعل الكبائر ولو لم يفعلها[٤].

٢- التكفير من مستهزأ يعد كفراً لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

---

(١) الطحاوية ص٣٧٨.
(٢) المغني (١٣١/٨).
(٣) شرح السنة (١٠٣/١).
(٤) معارج القبول (٢ / ٣٥٧).

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٤).

قال ابن الجوزي: «وهذا يدل على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء»[١].

يقول السعدي: «إن الاستهزاء بالله ورسوله كفر يخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك ينافي هذا الأصل»[٢].

٣- التكفير من متأول مخطئ لا يكفر ولكنه يأثم والتأويل هاهنا: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمد المخالفة. بل قد يعتقد أنه خطأ. يقول ابن حجر في تعريف التأويل السائغ: قال العلماء: «كل متأول معذور بتأويله ليس يأثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم»[٣].

٤- التكفير من عالم مجتهد يغفر ولا يأثم عليه.

القاعدة الحادية عشر:

من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فقد كفر : ولهذه القاعدة استثناءات؛ فإن كان مختلفاً فيه بين العلماء المعتبرين بعضهم يعده من النواقض وبعضهم لا يعده، لم يجز تكفير من لم يكفرهم، كتكفير الخوارج وبعض الفرق الأخرى التي لم يتفق على ردتها، ويدخل في هذا من لم يكفر تارك الصلاة، أو جاهل بنواقض الإيمان أو جاهل بحال الكافر.

والله الموفق ،،

---

(١) زاد الميسر (٣ / ٤٦٥).
(٢) تفسير السعدي (٣ / ٢٥٩).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٤).

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة